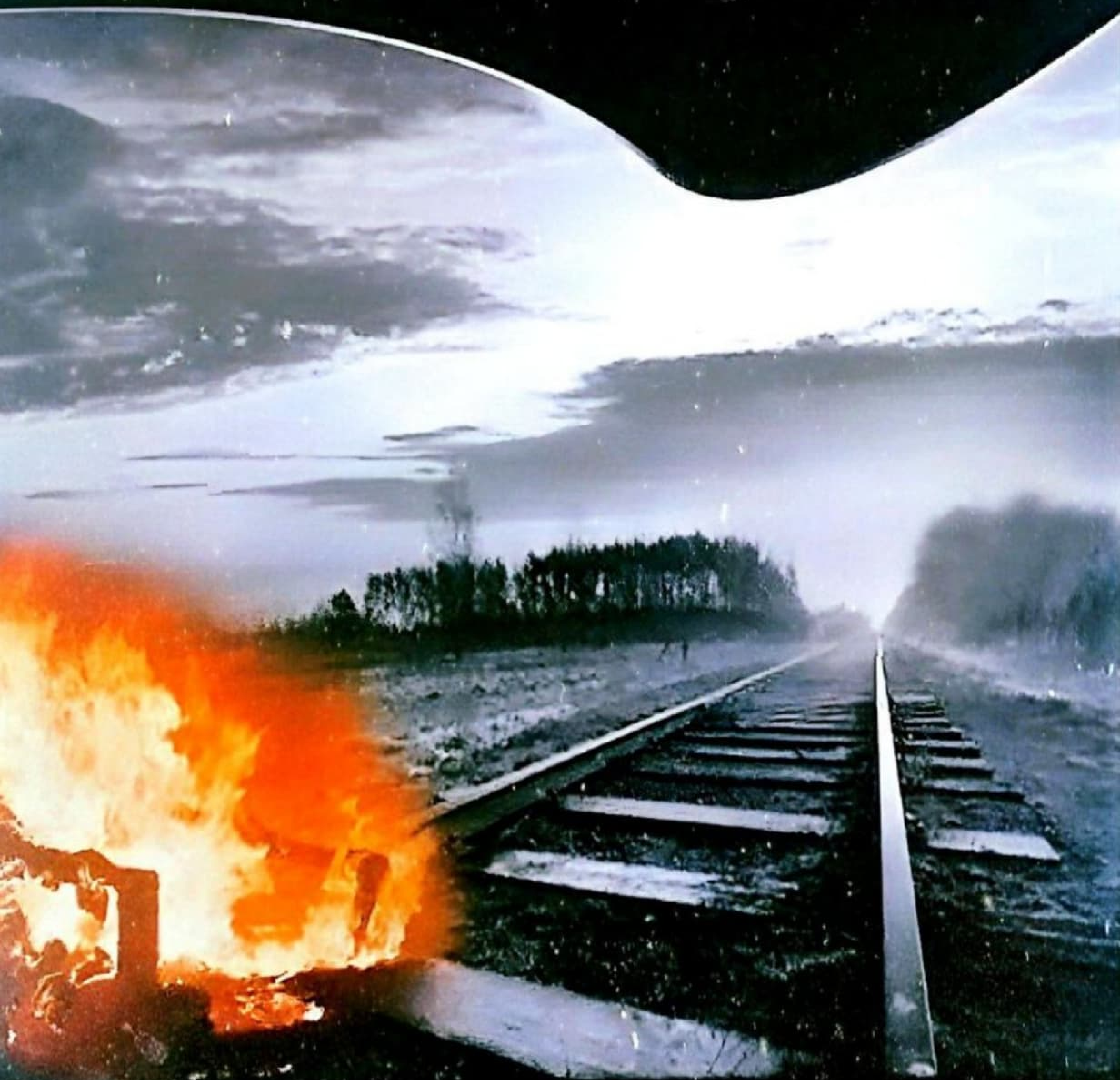
البعث والقطار الأمريكي

أسرار وخفايا انقلاب 8 شباط 1963 م



حسن السعيد



البعث و القطار الأمريكي

أسرار وخفايا انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م

هوية الكتاب

إسم الكتاب: البعث والقطار الأمريكي

تأليف: حسن السعيد

سنة الطبع: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

تصميم الغلاف: الفنان قاسم محسن

الإخراج: باقر الموسوي



مركز النهوض للبحث والتوثيق

العراق — بغداد

البريد الالكتروني: alnuhooth_center@yahoo.com

حسن السعيد

البعث و القطار الأمريكي

أسرار وخفايا انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م

مركز النهوض للبحث والتوثيق

بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

حـــزن..
الأمهـــات العراقيـــات

حتى لا تطال الفجيعة..
أمهـــاتٍ أُخَـــر

كلمة المركز

كان الطموح أن يكون هذا الكتاب أكبر حجماً وأغزر مادة، وكان لزاماً لوفاء هذه الشروط انتظار الحصول على المزيد من الوثائق والشهادات. إن ذلك يعني بالمحصلة المزيد من الوقت، لكن ضرورات عدة قد فرضت نفسها ودفعت إلى إصدار الكتاب بهذه الحدود التي لا تلبي طموح المركز بخدمة الحقيقية لوجه الله والوطن والشعب.

لعل القارئ الكريم يقتنع بأن التطورات السياسية التي نعيش تفاصيلها الصعبة والعبث الذي تمارسه القوى المضادة التي تحاول بكل جهدها ووسائلها تشويه صورة الوليد العراقي الجديد، لم تتحْ فرصة الانتظار أو الحصول على المزيد من الوثائق الشهادات.

نعتقد أن ما يحتويه الكتاب من هذه الشهادات والوثائق كافية لرسم إطار الصورة التي تبدو مشوشة لمأساة مّرت بالعراق، ولا يمكن وصفها إلاّ بأنها الأسوأ في تاريخه الحدث.

يأتي هذا العمل ثمرة إحساس عميق بضرورة أن يتخلّى الفكر العراقي – صاحب الريادة الكونية والإسلامية – عن هامشيته، ويناقش القضايا الأخطر والأهم، التي صنعت تفاصيل الخراب الذي نعيش تفاصيله يومياً.

كما يأتي هذا الجهد المتواضع ضمن موضوع نبتهل إلى العلي القدير أن يمكننا من انجاز ما أطلقنا عليه "ترميم الذاكرة العراقية " تمهيداً لإعادة بنائها بمضامين الإيمان والوطنية، وإشاعة السلام والعدل والسعادة في ربوع الرافدين التي غادرتها بفعل السياسات الحمقاء، وأيضاً بفعل مَنْ سكت عن هذه السياسايات، و من يمارس "فضيحة" هذا السكوت حتى الآن.

ترميم الذاكرة العراقية لا يعني فرداً واحداً، ولا جهة أو حزباً مهما أخلص النية إنها فعل يمتد إلى أعماق الظواهر التي حولت العراق من بلد صانع للحضارات الإنسانية الأولى، ودولة صاعدة في العصر لحديث، تكاد أن تخرج من عنق زجاجة العالم الثالث.. إلى كيان ممزق على مستوى الدولة، وأرضية هشّة قلقة على

مستوى المجتمع، بعد أن دمّر النظام العفلقي بمنهجية ليست عفوية بُنى ومكونات المجتمع العراقي، وزحف في تدميره الممنهج إلى أخطر من ذلك..إلى النسيج السيكولوجي العميق للشخصية العراقية.

إن الغرض الذي يهدف إليه هذا الكتاب هو إثارة موضوعة ترميم الذاكرة العراقية كجهد جماعي لكل من يهمهم ذلك، وبالأخص مؤسسات الدولة الراعية، دون أن تتدخل أي سلطة تابعة للدولة في تفاصيل هذا الترميم، وإعادة أساسيات وبُنى الفكر العراقي خارج تلوثات الظاهرة العفلقية.

هي أيضا دعوة للكتاب والباحثين أن يلجوا هذا الحقل الذي ظل حتى الآن فقيراً في المساهمات النقدية، تماماً مثل فقره إلى مركز وثائقي كبير واستراتيجي مهم يجمع شتات الذاكرة العراقية الموزعة صفحاتها على مختلف بقاع العالم، والمحبوسة في ذاكرة رجال انتقل قسم منهم إلى رحمة الباري، فيما وصل البعض الآخر إلى مراحل متقدمة من العمر، لابد من استثمار وجودهم بيننا، بمعنى استنطاق الوقائع والأحداث والإجابة عمّا جرى، وكيف جرى وما الذي جعل كل ذلك ممكناً؟.

هي دعوة أيضا إلى كل الفعاليات الناشطة في هذا المجال بما فيها أجهزة الدولة المختصة أن تنظر بعمق وجدية، خارج نطاق

الممارسات البيروقراطية التقليدية أو النظر إلى مشكلة الذاكرة العراقية بدرجة لا تقل عن درجة الاهتمام بإنتاج النفط، أو محاربة الفساد. وهذا ما أقدمت عليه الدول التي تلوثت بوباء الأحزاب الفاشية والنازية التي تشبه أحوال العراق في ذلك.

من الملاحظات المنهاجية أن المذكرات التي كتبتها أقلام شخصيات - عراقية أو غيرها - شاهدة على تراجيديا الجمر العراقي لم تكن بالمستوى الذي يستنطق الحوادث والوقائع، فقد كانت هذه المذكرات محاصرَة إمّا بالخوف أو تجنب ذكر الحقائق طلباً لسلامة موهومة، لا تليق بأخلاقيات المسؤولية تجاه البلاد والعباد.

حاول العفالقة ربط تاريخ العراق بمسار انقلابي، وكان تاريخ العراق صانع الحضارات ومعلم الإنسانية قد ابتدأ يوم ٨ شباط عندما نرى الانقلابيين على كرسي السلطة.

إن ترجمة الوثائق التي تخص العراق في ملفات الدول الكبرى ومؤسساتها الفاعلة، وأغلبها بالمناسبة مجانية، لمن يشاء ترجمتها أو استنساخها تمثل طموحاً آخر لمركز النهوض الذي يدعو الكتّاب والباحثين والمثقفين والمتخصصين وكل من يهمهم أو من يقلق

ضمائرهم، ويستفز قناعاتهم الأخلاقية حال العراق الذي حاول العفالقة ويعولون ألان على إعادة عقارب التاريخ فيه إلى الوراء.

من حق أجيالنا الجديدة وأبنائنا وأحفادنا الذين لم يعوا أسباب المأساة أن يكونوا في الصورة، كما تفعل دول اكتوت بنيران الفاشية والنازية، إذا كان ذلك من حقهم فإنه يمثل واجباً لنا نحن الذين عشنا تفاصيل المأساة وشهدنا وقائع الخراب.

نطمح بعونه تعالى أن يظهر هذا الكتاب بطبعة أخرى أوسع وأكثر استيفاء للشهادات والوثائق والوقائع، ويزداد الطموح أن يصدر هذا الكتاب أو غيره بالمشاركة مع الأخوة الكتّاب والباحثين أو في سلاسل تأخذ عنواناً رئيساً هو ترميم الذاكرة العراقية، وعناوين فرعية تخص طريقة تناول الأحداث وتحليلها وفق حرية الباحث وتوجهاته.

والله ولي التوفيق.

مركز النهوض

● الرحلة المرعبة

قيل الكثير عن "القطار الأمريكي" الذي أوصل البعثيين إلى سدة الحكم في الثامن من شباط ١٩٦٣. وقد اشتهرت هذه المقولة منذ أن أطلقها "علي صالح السعدي" (أمين سر القيادة القطرية، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية يومئذ)، وتعد أقدم شهادة إثبات عراقية على أن انقلاب شباط هو صنيعة المطابخ السياسة الأمريكية، وأن المخابرات المركزية الأمريكية كان لها اليد الطولى في الإطاحة بعبد الكريم قاسم .

"جئنا بقطار أمريكي".. هذه العبارة التي فلتت عن لسان أحد أبرز قادة حزب البعث أعوام الستينات، في لحظة من لحظات الضعف أو الغضب

أو تأنيب الضمير، ظلت يتيمة وقابعة في ظلمة الوثائق السرية عقوداً من الزمن[١].

إن هذه التهمة الشائعة ترددت كثيرا في الأوساط السياسية والإعلامية، وخاصة العراقية، حتى غدت عند خصوم البعث من المسلمات التي لا يرقى إليها الشك، خاصة وإن علي صالح السعدي (صاحب تلك العبارة الشهيرة) لم يكن خصماً أو طارئاً على حزب البعث، بل كان الأمين العام القطري للحزب، في تلك السنوات التي حكم فيها حزبه العراق ٩ أشهر بالحديد والدم والقتل[٢].

إزاء هذه المقولة ذائعة الصيت تباينت ردود الفعل إذ صدقها البعض، وشكك بها آخرون، لكن لا أدلة أو براهين قاطعة توفرت حينها على حقيقة أو طبيعة هذا القطار، الذي جاء بالبعث إلى السلطة صبيحة الثامن من شباط ١٩٦٣[٣]. ورغم شيوع تداول المقولة، وعلى نطاق واسع، فإن الصمت على هذه الحقيقة كان قاسماً مشتركاً بين طرفي الرحلة المبهمة، طوال العقود الماضية، فلم يصدر عن صاحب الشأن الأول (وكالة المخابرات المركزية

---

(١) وليام جي .زيمان ، التدخلات السرية الأمريكية في العراق خلال الفترة ١٩٨٥ - ١٩٦٣، موقع (www.al-anasaar.net)، ص ٣٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

الأمريكية) شيء موثق حتى الآن، ولم يعترف بين قادة البعث سوى علي صالح السعدي أولاً، ومن ثم وردت تلميحات من هذا القبيل في كتاب هاني الفكيكي (أوكار الهزيمة)، وكذلك في مذكرات طالب شبيب المهمة. وقد يكون لكل طرف من هذه الأطراف أسبابه ومحاذيره لإبقاء الحكاية طي النسيان، لكن الحقائق تبقى عصية على الموت [٤].

وتأسيساً على ذلك يتساءل العديد من المراقبين عن سر الصمت الذي ظلّ يلف زعماء الانقلاب، سوى النزر اليسير جداً منهم، بل حتى السعدي ذاته حينما كان يلاحق، أينما حل أو ارتحل، بالسؤال عن صحة ما نُقل عنه حول القطار الأمريكي.. فيجيب مؤيداً ذلك، لكنه يطلب عدم التوسع في نقل ذلك خوفاً على سلامته [٥].

بعد اتضاح حقيقة البعث وافتضاح دوره المشبوه تعددت مواقف ركاب القطار الأمريكي، من الدرجة الأولى؛ فبعضهم غادروا عرباته في محطات متعاقبة، وآخرون واصلوا السير حتى النهاية، فيما سحقت عجلات القطار البعض الآخر، ليتسع نطاق حالات السحق بقسوة بالغة الضراوة،

---

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر ماريون فاروق سلوغلت وبيتر سلوغلت، من الثورة إلى الديكتاتورية – العراق منذ ١٩٥٨ ،منشورات الجمل ،٢٠٠٣، هامش المعرب مالك النبراسي، ص ١٢٦ وهنالك من يؤكد أن مذكرات السعدي التي كانت بحوزة زوجته هناء العمري تضمنت هذا الاعتراف، غير أنها أتلفتها خشية الانتقام !

فيشمل قطاعات واسعة من أبناء العراق، ممن أجبروا على المضي في ركب هذه الرحلة المشؤومة، على يد "أحد ركاب هذا القطار – حسب تيم واينر– كان سفاحاً متزايد الاهتمام، إسمه صدام حسين"[٦].

ولئن تجلت نهاية المرحلة المرعبة لكل ذي عينين، فان البدايات ما تزال بحاجة إلى مزيد من التقصّي، وتسليط الأضواء الكاشفة على زواياها المعتمة وكواليسها المغلقة. ونستطيع إجمالاً رصد ثلاث مراحل مرت بها العلاقة بين الطرفين الرئيسيين في رحلة التدمير هذه، وهي حسب سياقاتها التاريخية، وتطوراتها العملية :

أولاً: التخطيط والتهيؤ

ثانياً: الإعداد والتحرك

ثالثاً: انقلاب المخابرات الدولية

وسينصب البحث أساساً على هذه المحاور، توخيّاً للوصول إلى الحقيقة المغيّبة.

---

(٦) تيم واينر، ارث من الرماد - تاريخ (C.I.A.)،ترجمة انطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص ١٩٩ .

● التخطيط والتهيؤ

سبق وأن تطرق الحديث إلى أن الإدارة الأمريكية دخلت بقـــوة إلى الساحة الدولية، فور انتهاء الحرب العالمية عام ١٩٤٥، وبرزت على أنهـــا زعيمة المعسكر الغربي قبال الاتحاد السوفيتي الذي كان يقـــود المعســـكر الاشتراكي .

وفي غمرة التنافس المحموم بين القوتين الأعظم، تصـــاعدت وتـــيرة الحرب الباردة ، وقد استخدم الطرفان كل الوسائل المتاحة واتبعـــا جميـــع الأساليب، بما فيها المبتكرة، لشن الحرب النفسية، بكل ضراوتها وضروبها، ومنها تلك التي أطلق عليها (الألاعيب القذرة) لتقويض الطـــرف الآخـــر وتدميره .

وفي إطار ذلك، لم تتوان الإدارة الأمريكية عـــن القيـــام بـــالتحرك السياسي العلني، المتزامن مع الشروع بالنشاط المخابراتي الســـري الـــذي

أَسندت مهمة الاضطلاع به إلى المخابرات المركزيـــة الأمريكيـــة ، والـــتي أُنشئت خصيصاً لهذا الغرض. ومنذ بداية تأسيسها مُنحت صلاحيات واسعة واستثنائية ، رغم كونها مؤسسة جديدة ، من قبيل "كانت المراقبة والسيطرة اللتان خضعت لها هذه المؤسسة أقل بكثير مما خضعت له مؤسسات أخرى بينما كان تمويلها لا حدّ له . وكانت سياسة الرئيسين ترومان و آيزنهـــاور تسير على أساس عدم الرغبة في معرفة تفاصيل عمليـــات الــــ(C.I.A) السرية ما لم يكونا في حاجة حقيقية لذلك، وكانـــت مراقبـــة الكـــونغرس محدودة أيضاً .

فأعضاء الكونغرس كانوا يقولون غالباً لمديري الــ(C.I.A) عنـــدما كانوا يوجزون لهم نشاطات المؤسسة : "لا تخبرني بأي شيء لا أحتـــاج أن أعرفه! " ، وظل هذا الحال كما هو حتى السبعينات ، عندما كشفت ثلاث لجان مختلفة في مجلس النواب ومجلس الشيوخ تجاوزات الــ(C.I.A).. ومع ذلك ظل الدبلوماسيون الأمريكان العاملون في الســـفارات والقنصـــليات يخافون من هذا السم الخفي المسمى الــ(C.I.A)[١]، بل إن معظم الخبراء العاملين في هذا الجهاز المعقّد يجهلون الشيء الكثير عن تعليماته ! .

(١) وليام جي .زيمان :المصدر السابق ،ص ٤٢.

هذه الحقيقة أكدها أحد كبار ضباط الجهاز بقوله : " في الوقت الذي كانت فيه التعليمات الواضحة تفيد بأن على المخابرات المركزية أن تقوم "بألاعيب قذرة" إلا أن معظم خبراء المخابرات المركزية الذين عليهم إيجاد الوسائل، كانوا على ما يبدو يجهلون هذه التعليمات . والحقيقة ، إننا عندما أطلقنا العنان لخيالنا في تطوير هذه الألاعيب لم نولِ اهتماماً للأهداف التي تستخدم من أجلها. نص قانون الأمن القومي لسنة ١٩٤٧ أنه أسس وكالة المخابرات المركزية لانجاز الواجبات والوظائف المتعلقة بالمعلومات التي تهم الأمن القومي، والتي قد يطلبها المجلس بين فترة وأخرى ، بينما حددت التعليمات الخاصة بمكتب تنسيق السياسات أن هدفه هو مواجهة محاولات الاتحاد السوفيتي وأقماره التجسسية إحباط أهداف ونشاطات الولايات المتحدة وباقي الدول الغربية (٢).

وبناء على تلك التعليمات السرية ، تسلل خبراء الـ(C.I.A) إلى أكثر من عاصمة ، لانجاز الوظائف والواجبات التي كلفوا بها . ومن بين تلك المهام التوجه إلى "روما" عام ١٩٤٨ ، للحيلولة دون صمود الشيوعيين في الانتخابات من جهة ، وتخليص إيطاليا من الوزراء الشيوعيين الموجودين في الحكومة . وعن تلك التجربة تحدث مايلز كوبلاند الذي التقى " ألن

---

(٢) مايلز كوبلاند ، حياة مايلز كوبلاند ،ترجمة صادق عبد علي الركابي ،منشورات مكتبة مدبولي ، القاهرة ،٢٠٠٧ ص١٧٢.

دالاس" نائب مدير المخابرات المركزية في حينها ، لتلقي الأوامر بخصوص بناء شبكة خلفية في الشرق الأوسط ،التي كُلّف كوبلاند بها، إذ يقول:"وفي ذلك اللقاء أوضح دالاس لنا إن حكومة الولايات المتحدة قد فعلت حسناً في مجال ما يُسمى بالنشاط السياسي العلني . على سبيل المثال ، عندما ظهر في عام ١٩٤٨ أن الشيوعيين قد يكسبون الانتخابات في ايطاليا دعت وزارة الخارجية رئيس الوزراء الايطالي ، دي كاسبري، إلى واشنطن لإبلاغه أن مبلغ المعونة الكبرى الذي تحتاجه ايطاليا لأغراض إعادة البناء ، سوف لن يصلها ، إذا لم يتخلص من الشيوعيين في مجلس وزرائه. بعد ذلك قامت مصلحة الإعلام الأمريكية USIS بتشجيع الأمريكيين الايطاليين لإرسال رسائل وبرقيات إلى الآلاف من أقربائهم في ايطاليا، يخبروهم أنهم سوف لن يحصلوا في المستقبل على صكوك حوالات إذا لم يشتركوا في جهود إيقاف الشيوعيين . وقد وجه بعض الأمريكيين المعروفين الناطقين بالايطالية محطة إذاعية ليخبروا فيها الايطاليين ما يعنيه لهم استيلاء الشيوعيين على بلادهم .

وقد جرى إرسال بعثات ودية، وفرق موسيقية، وإقامة معارض فوتوغرافية، واستخدم كل الوسائل الممكنة لبيان مزايا العلاقات الأمريكية الايطالية الطيبة ، على النقيض من نمط العلاقات التي تهدد الايطاليين بإقامتها مع الإتحاد السوفيتي .

بلغت مساهمة المخابرات المركزية أكثر من مليون دولار، عبارة عن هدية لحزب سياسي واحد مناهض للشيوعيين، ونصيحة بسيطة إلى حكومة دي كاسبري حول العمل الذي ينبغي على الايطاليين أداؤه لإبعاد الخطر"[٣].

وعلى ما يبدو أن دالاس لم يتطرق إلى هذا الحديث لاطلاع مستمعيه فقط، أو للدردشة معهم لإزجاء الوقت، بل كان يهدف إلى إيصال رسالة يروم توجيها إلى الحضور، لإلفات أنظارهم إلى ما هو أهم من ايطاليا ، خاصة وأنها على العموم مأمونة الجانب ، وتنضوي تحت سقف (بيت الطاعة) الأمريكي. ثم إن مواقفها من أمهات القضايا الدولية لا تبتعد عن الموقف الغربي ، ولما كان تأسيس الدولة العبرية ١٩٤٧ الحدث الساخن والمثير فإن الموقف الايطالي منحاز بالكامل - كبقية دول الغرب - صوب إسرائيل، وليس هناك من خشية في هذا الأمر ، إنما الخشية الحقيقة تنحصر أساسا في رجحان كفة احتمال تفاقم الأوضاع في الشرق الأوسط ، نظراً لتزايد وتائر الغضب الجماهيري ، حيال اغتصاب فلسطين بدعم مباشر من الدول الغربية ، وربما تنفلت الأمور من عقالها ، وتتجه في مسارات ليست في مصلحة الغرب والدولة العبرية .

---

(٣) المصدر السابق ، ص١٨٥.

ومع تزايد الخوف من التطاول السوفيتي ، أصبح هدف إنشاء طبقة من الدول الموالية لأمريكا ، عند الخاصرة الجنوبية للسوفييت ، أكثر إلحاحا[٤]، من هنا اندفعت الـ(C.I.A) بكل إمكانياتها للبحث عن مرتكزات أساسية لمشروعها ذاك .وهو ما شدد عليه دالاس بقوة ، وكأنه أراد أن يخلص، من وراء حديثه المتقدم ، إلى النتيجة المطلوبة : " على المخابرات المركزية أن تشجع بأقصى قدر ممكن النشاطات العلنية من هذا النوع، وكان يأمل أن نجد – الكلام لكوبلاند – في الشرق الأوسط مجموعات وأفراد يقومون بما هو مطلوب بأنفسهم ، وعلينا المشورة والمال فقط ، وأضاف أن وزارة الخارجية تحتاجنا ، إلاّ أنها قد تلجأ إلينا ، إذا ما أرادت الحكومات التي ندعمها إبقاء علاقتنا سرية معها ، أي إن السرية هي لمصلحتها"[٥].

وعلى غرار ما جرى في ايطاليا، شهدت الساحة اللبنانية تجربة سابقة لمثيلتها الايطالية ، إذ تدخلت المخابرات المركزية الأمريكية في تنظيم الانتخابات اللبنانية في عام ١٩٤٧، وقد تصدى لمهمة الإشراف الميداني ضابط في الوكالة المركزية ، هو (ولتنغتون السبري) ليعمل لاحقاً مديراً

(٤) تيم واينر ، المصدر السابق ،ص١٩٨.
(٥) مايلز كوبلاند ، المصدر السابق ،ص ١٨٥.

للإدارة الاحتياطية المسؤولة عن المحافظة على قوائم المواد المتفجرة الألمانية ، التي جمعت من مختلف أنحاء العالم بعد انتهاء الحرب .

بديهي أن الاهتمام الأمريكي لم يكن مقتصرا على الملف اللبنـــاني ، فهناك من الملفات في المنطقة ما هو أخطر وأهم وأكثر أهمية . وهاهو مايلز كوبلاند يستعرض لنا سريعاً جانباً من المتطلبات المالية ، لمكاتــب وكالــة المخابرات المركزية ، المبثوثة كالإخطبوط في العواصم العربيــة فيقــول ، وبالحرف الواحد:"مرة جاء إلى مكتبي موظف من مكتب سوريا ليبلغني أن حساباته تشير إلى حاجته إلى (١,٢٠٠,٠٠٠) دولار وقد حل هذا العقدة، فإذا كنا نحتاج هذا المبلغ لسوريا ، فإننا نحتاج إلى ضعفه للعراق ، طالما أن العراق أكثر أهمية من سوريا بمرتين ، ونحتاج إلى أربعة أضعافه إلى مصر طالما أن مصر أكثر أهمية بأربع مرات وهكذا .رغم أنه ليست لدى أي منا فكرة واضحة عن طرق صرف هذه المبالغ .

بعد ذلك أخذنا الأرقام إلى مكتب كيم روز فيلت وقد أصيب بالهلع وقال:"إن لدينا أهم فرقة في الوكالة، وإذا ما طلبنا مثل هذا المبلغ الزهيــد (٢٠) مليون دولار فسيضحك الجميع منا، لهذا طلبنا(١٠٠) مليون دولار، وحصلنا عليه ، وبنفس الطريقة قاتلنا لنحصل على كادر إضافي . فقد بدأ مكتب تنسيق السياسات بكادر لا يتجاوز ثلاثمائة أو أربعمائة موظف ، بما يكفي لتشكيل قوة طوارئ صغيرة مطلوبة لشن عمليات في مناطق حساسة،

يكون فيها التهديدان الدبلوماسي والعسكري قد فشلا . وفي عام ١٩٥٣ ارتفع عدد موظفي المكتب إلى أكثر من خمسة آلاف موظف" [٦].

الوصايا العشر للـ "C.I.A"

وهكذا تضاعف الاهتمام الأمريكي بالمنطقة، بسبب تطورات الأحداث الجارية فيها ، ولهذا نجد كوبلاند (المكلّف حديثاً ببناء شبكة خلفية في الشرق الأوسط) يقوم بجولات مكوكية شملت كلاً من:" قبرص، القاهرة، عمّان، بغداد، البصرة، الرياض، الظهران..وطهران" لزيارة رؤساء المحطات الاستخبارية، وشرح برنامج الشبكة الخلفية والتمهيد لاستلام المعدات اللاسلكية ، بطائرة شحن تابعة للمخابرات المركزية[٧].

وفي ظل المناخ السائد يومئذ ، شهدت المنطقة تنامي مشاعر العداء للغرب عموماً وأمريكا بخاصة، لمواقفهما السلبية، والمعادية في أحيان كثيرة، لكل قضايا الأمة، وفي مقدمتها قضية فلسطين ، إضافة إلى تبنيها الدولة العبرية ، وتوفير مستلزمات قيامها ودعمها على كل الأصعدة، ولا ننسى

---

(٦) المصدر نفسه، ص١٨١.
(٧) المصدر نفسه ،ص ١٨٣

مشروع الهلال الخصيب المطروح حينذاك ، وما يعنيه من خطوة وحدوية لا تروق للدوائر الاستعمارية التي بذلت جهوداً كبيرة لتكريس التجزئة والفرقة والتمزق والتناحر .. وأخيراً كان صعود رصيد التيار اليساري الذي يجاهر بعدائه للإمبريالية .. كان هذا وغيره من مظاهر الحراك ، غير المرحب به أمريكيا ، دفع الإدارة الأمريكية إلى التفكير الجدي بوضع خطة مضادة لمواجهة التحديات التي تقف في طريق مصالحها في المنطقة ، وكان من مفردات تلك الخطة ؛ جملة إجراءات أمنية احترازية ، أُدرجت ضمن مشروع " مكافحة النشاطات الشريرة للاتحاد السوفيتي " وقد بلغ عدد الإجراءات عشراً ، فجاءت وكأنها " الوصايا العشر" [(٨)] للمخابرات الأمريكية المركزية ،وهي :

١. دعم الحكام الموالين :

تتصدى هذه المسالة أولويات الأجندة الأمريكية في المنطقة ، وما تزال تتشبث بها حتى هذه اللحظة ، ففي اجتماع عقد في أيلول (سبتمبر) ١٩٥٧في البيت الأبيض، حضره فرانك ويسنر، وفوستر دالاس ، ومساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وليام راونتري، وأعضاء في الأركان المشتركة.. اقترح دالاس "قوة منتدبة سرية" يمكن لـ(C.I.A) برعايتها

---

(٨) وليام جي .زيمان ، المصدر السابق ،ص ٢٣

أن تزود الملك السعودي سعود ، والملك الأردني حسين والرئيس اللبناني كميل شمعون ، والرئيس العراقي نوري السعيد ، بالسلاح الأمريكي والمال والاستخبارات .

ويمضي دالاس قائلاً :"يُفترض بهؤلاء الهجيني المولد الأربعة أن يشكلوا دفاعنا ضد الشيوعية والقومية العربية المتطرفة في الشرق الأوسط"(٩).

٢ــ شراء ذمم الحكام :

لم تقف الإدارة الأمريكية عند حد الدعم للحكام الموالين لها بالسلاح والمال والاستخبارات ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك ، حين أقدمت وبوقاحة على تجنيد بعضهم. ففي الاجتماع نفسه (الذي مر ذكره في النقطة الأولى) اقترح فرانك ويسنر "وضع الملك الأردني على جدول معاشات الــ(C.I.A).. (١٠)، وأنشأت الأخيرة جهاز استخبارات أردنياً ، لا يزال حياً لليوم ، بوصفه جهاز ارتباطها بالكثير من العالم العربي ، وقد حصل الملك على رفد (مالي) على مدى السنين العشرين التالية " .

---

(٩) تيم واينر ،المصدر السابق ،ص١٩٤.

(١٠) المصدر نفسه.

يعلق تيم واينر بعبارة لاذعة ، فيقول : "وإذا لم تستطع الأسلحة شراء الولاءات في الشرق الأوسط ، فإن الدولار الكلي القـوة بقـي سـلاح الـ(C.I.A) السري ..الفتاك.فثمة ترحيب مستمر بالأموال النقدية من أجل الحرب السياسية والصراع على السلطة " وفوستر (دالاس) يؤيد ذلك كلياً ، إذا كان في إمكانه إنشاء إمبراطورية أمريكيـة في الأرض العربيـة والآسيوية . لنضع الأمر على هذا النحو[١١]. ويقر واينر بأن "الكثيرين من أقوى الرجال في العالم الإسلامي قد تلقوا مال الـ(C.I.A) ومشـورتها. وسيطرت عليهم الوكالة ما استطاعت"[١٢].

٣ – إسقاط الأنظمة المناهضة :

على إمتداد الهلال الكبير الممتد من أندونيسيا إلى المغرب العـربي " رأت الوكالة في كل زعيم سياسي مسلم ، لا يتعهـد بـالولاء للولايـات المتحدة " هدفاً مشروعاً للعمل السياسي لـ(C.I.A) بحسب قول آرتشي روزفيلت رئيس محطة تركيا، وأبن عم كيم روزفيلت قيصر الـ(C.I.A) في الشرق الأقصى[١٣].

---

(١١) المصدر نفسه.
(١٢) المصدر نفسه،١٩٣.
(١٣) المصدر نفسه.

مؤخراً صدرت مذكرات للعديد من رجال الساسة والمخابرات الأمريكية ، وكشفوا بعض الأسرار (المسموح بها) ، ومن ذلك ما أورده هاريسون سيّمز الذي عمل عن كثب مع الـ(C.I.A) بوصفه اليد اليمنى لراونتري ، وأصبح لاحقاً سفيراً في الأردن ، وحقق الإرث الدائم الوحيد للقوة المنتدبة السرية (أي تجنيده الملك حسين للعمل ضمن جهاز وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) يقول السفير سيّمز : "لقد تبنى جون فوستر دالاس النظر بأن علينا القيام بكل ما يمكننا لإسقاط هؤلاء الحياديين: الأنظمة المناهضة للامبريالية، المناهضة للاستعمار، والمتطرفة في قوميتها".

انتدب ألن دالاس للقيام بهذا..وبالطبع، فان ألن قام بإفلات الناس من عقالهم ونتيجة ذلك، علقنا في محاولات انقلاب ، وفي عمليات خرقاء من كل الأنواع[١٤] وتتضارب المعلومات حول عدد تلك العمليات الخرقاء ، وأسماء البلدان التي حصلت فيها[١٥].

---

(١٤) المصدر نفسه،١٩٤.

(١٥) يذكر كوبلاند أسماء الأماكن التي نفذت فيها المخابرات المركزية عمليات يصفها بـ(اللاأخلاقية) و(الخرقاء) ألحقتضررا ًفادحا ً بالمصالح الأمريكية وهذه البلدان هي: بورما و الصين وكوبا واندونيسيا والتبت وسنغافورة والبرازيل وتشيلي والكونغو واليونان وإيران وغواتيمالا ، ويضيف قائلا : "والحقيقة أن المخابرات المركزية نفذت في هذه البلدان وفي بلدان عديدة أخرى قليلا من العمليات الخرقاء من حين لأخر ، إلا أنه في اثنتين منها وهما الصين وكوبا حققت المخابرات نجاحا جديرا بالثناء ، رغم أن

٤– تدبير الانقلابات :

تعمد الـ(C.I.A) إلى إيصال الموالين للسياسة الأمريكية بطرق شتى؛ الانتخابات ، ممارسة الضغوط المختلفة، الدعم المالي... وفي حالة إخفاق هذه الأساليب، فإنها تلجأ إلى خيارها الاحتياطي (الانقلابات) . ويحفل سجل الانقلابات في أضابير وملفات الـ(C.I.A) بعشرات المحاولات ، سواء الناجحة منها أو الفاشلة .

ولا تعوز الباحثين والمتابعين – على حدٍ سواء – الأدلة والشواهد على قادة الانقلابات، الذين وصلوا إلى السلطة بذات القطار الأمريكي المعهود . ولسنا بصدد جرد أسماء أولئك القادة فهم أو معظمهم – في أقل التقادير – معروفون لدى القاصي والداني .

وكمثال صارخ، نكتفي به نموذجا، يحضرنا في هذا المجال ،هو أديب الشيشكلي شيء عنه؟، يقول أحد كبار رجال المخابرات الأمريكية: "نصّبت الـ(C.I.A) في ١٩٤٩ عقيداً موالياً لأمريكا، وهو أديب الشيشكلي، زعيماً على سوريا". حاز مساعدة عسكرية أمريكية مباشرة إلى جانب مساعدة مالية خفيّة. ودعا رئيس محطة الـ(C.I.A) في دمشق مايلز

خبرها - لكونها نجاحات - لم يصل إلى الصحافة أبدا ، ولا حتى إلى لجان المراقبة التابعة للكونغرس"،ص ٢٥٧.

كوبلاند، العقيد بـ(السافل المحبب)[١٦] الذي على حد علمي الأكيد، لم ينحنِ أبداً لصنم ، لكنه انتهك الحرمات المقدسة ، وجدف ، وقتل ، وزنى، وسرق. بقي لمدة أربع سنوات قبل أن يطاح به بانقلاب مضاد[١٧].

٥- حياكة المؤامرات:

دأبت المخابرات الأمريكية على إتباع نهج ثابت ، أمسى بمثابة تقليد. ففي حالة إخفاق انقلاب ما في دولة ما ، لا يعني هذا ، بأي حال من الأحوال ، أن تكف عن مواصلة عملياتها القذرة . وكان ألن دالاس ورفاقه الدبلوماسيون يتبعون سير بعض هذه الألاعيب القذرة التي يتم التخطيط لها في الشرق الأوسط ، بحيث إذا وجدنا – يقول كوبلاند – أنها مستحيلة كليا ، عمدنا إلى وأدها قبل أن تمضي أكثر قدماً . ونجحنا في القيام بذلك في بعض الحالات ، لكننا لم نستطع وأدها جميعا[١٨].

إذن الموقف النهائي من تلك العلميات يحدده تقدير الموقف على الأرض ، وفي حالة التأكد من عدم نجاحها ، فإن الخطة البديلة هي البحث عن مغامرين (ليسوا بالضرورة لديهم ارتباط مباشر مع الـ(C.I.A.) لمدهم

---

(١٦) تيم واينر ،المصدر السابق ،ص١٩٥.
(١٧) المصدر نفسه
(١٨) المصدر نفسه

بالمشورة والمال والسلاح . وهذا ما حصل فعلاً على الساحة السورية ، بعد سنوات قليلة من سقوط عميلهم المكشوف الشيشكلي . ففي آذار (مارس) ١٩٥٦ توقع ألن دالاس أن البلاد (ناضجة لانقلاب عسكري) تدعمه الوكالة[١٩].

وفي نيسان (أبريل) من العام نفسه، حاول كيم روزفيلت من الـ(C.I.A) وندّه في أجهزة الاستخبارات السرية البريطانية السير جورج يونغ ، تعبئة الضباط اليمينيين في الجيش السوري. وسلّمت الـ(.C.I.A) مليون ليرة سورية لزعماء المؤامرة . لكن إخفاق عملية السويس سمم المناخ السياسي في الشرق الأوسط ، ودفع بسوريا أقرب إلى السوفييت ، واجبر الأمريكيين والبريطانيين على تأجيل مخططاتهم ، حتى نهاية تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٦ [٢٠].

٦- افتعال الاضطرابات :

كالعادة في حالة إخفاق ما ، فإن ثمة بديلاً جاهزاً له ، فعلى سبيل المثال ، نستشهد بالحالة السابقة ، حاول الأمريكان ومعهم حلفاؤهم البريطانيون إعادة إحياء المخطط الخاص بسوريا في ربيع ١٩٥٧ . وتشرح

---

(١٩) المصدر نفسه.
(٢٠) المصدر نفسه.

وثيقة اكتشفت في ٢٠٠٣، بين الأوراق الخاصة بدنكان سانديز، وزير الدفاع في حكومة رئيس الوزراء هارولد مكميلان، هذا الجهد بالتفصيل[٢١]. وقد جاء فيها: "إنه يجب جعل سوريا تبدو كأنها راعية المؤامرات، والتخريب، والعنف الموجه ضد الحكومات المجاورة . وعلى الـ(C.I.A.) والاستخبارات السرية البريطانية أن تختلق "مؤامرات وطنية، ونشاطات متشددة مختلفة" في العراق، ولبنان، والأردن، ووضع اللوم فيها على سوريا . وسيعمل جهاز الاستخبارات الأمريكي والبريطاني على تشكيل فئات شبه عسكرية ، وإثارة التمردات لدى (الإخوان المسلمين) في دمشق . إن إنشاء مظهر من عدم الاستقرار ، سيخل بتوازن الحكومة . وستستخدم اشتباكات حدودية تفتعلها الاستخبارات الأمريكية والبريطانية ذريعة كي يقوم جيشا العراق والأردن المواليان للغرب بعملية اجتياح، وتصورت الـ(C.I.A.)، والاستخبارات السرية البريطانية، أنه من المرجح لأي نظام جديد سينصبانه "أن يعتمد أولاً على الإجراءات القمعية والاستبدادية في ممارسة السلطة للبقاء" [٢٢].

---

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٩٦.

٧- القيام باغتيالات

منذ تأسيسها سنة ١٩٤٧ ، والمخابرات الأمريكية ضالعة في مهمات خاصة لاغتيال شخصيات لا تحظى بالقبول من لدن الإدارة الأمريكيـــة ، وبالتالي لا يروق لهذه الإدارة أن يتبوأ هؤلاء المغضوب عليهم أمريكيـــاً أي موقع قيادي في بلدانهم ، لا يصب في خدمة النفوذ الأمريكـــي ومصـــالحه المتشعبة . وتطول قائمة المغدورين في شتى بقاع العالم ، ومـــن بـــين أبـــرز المعروفين (نذكرهم على سبيل المثال)؛ جاكوب آربيتز رئيس غواتيملا الذي أُطيح به عام ١٩٥٤، سلفادور الليندي رئيس تشيلي (١٩٧٣)، مصدق رئيس وزراء إيران (١٩٥٣)، باتريس لومومبا ،رئـــيس وزراء الكونغـــو (١٩٦١)، رافائيل تورخيلو رئيس جمهورية الدومنيكان (١٩٦١)، احمـــد بيللو رئيس وزراء نيجيريا (١٩٦٦)، جيفارا الثائر اليساري المعروف، عبد الرشيد علي شرمايكة رئيس جمهورية الصـــومال (١٩٦٩)..الخ، وعلـــى الصعيد الأمريكي: الرئيس جون كيندي (١٩٦٣)، مالكوم أكس الزعيم الامريكي المسلم (١٩٦٥)، مارتن لوثر كنغ الزعيم الزنجـــي (١٩٦٨)، روبرت كيندي شقيق الرئيس جون كيندي (١٩٦٨)..وهكذا.

ومن المؤكد أن المخابرات المركزية الأمريكية لن تتردد لحظة واحدة من إزاحة أي عنصر يقف حجر عثرة في طريق خططها ، حتى ولو لم يكـــن معادياً للنفوذ الأمريكي، وربما يكون متعاوناً معها، في بعض المقـــاطع ، أو

متخندقاً معها حيال قضية ما أو أكثر من قضية ، ويحضرنا في هـذا المجال كيف حدد روزفلت عبد الحميد السراج رئـيس جهـاز الاسـتخبارات السورية (أيام الوحدة الثنائية مع مصر) وجاء في حيثيات الحكم الغيـابي الذي أصدره روزفلت : "يجب أن يتم اغتيال السراج (بوصـفه الرجـل الأكثر قوة في دمشق) إلى جانب رئيس الأركان العامة السوري ، وزعـيم الحزب الشيوعي" [٢٣]، كما ان الوثائق أثبتت تورط الوكالـة في محاولـة اغتيال عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٩ ، وهو ما سنتطرق إليه لاحقاً.

٨- السلاح الأمضى :

لم تقف العمليات التي تصفها المخابرات المركزية بـ(القذرة) عنـد حدود وضوابط خاصة . فهذا باب مفتوح علـى مصـراعيه . ومتـروك لرجالات الوكالة الاجتهاد فيه ، حيثما يشاؤون !!.

ومن بين أساليب المخابرات المركزية القذرة ، إن لم يكن أكثرها قذارة هو استخدام النساء الرخيصات وأنصاف الرخيصات في تلـك المهمـات السرية. فإضافة إلى تغلغل الوكالة في الأوساط المخملية ومحـلات الأزيـاء

(٢٣) المصدر نفسه.

وصالونات التجميل، والأندية الليليـــة .. قامـــت بـــاختراق الأوســـاط الدبلوماسية بواسطة حسناوات مجندات لهذا الغرض .

وهذا النمط من النشاط يصنف ضمن مشروع "مكافحة النشاطات السرية" الذي بذلت فيه وكالة المخابرات المركزية جهوداً حثيثـــة ، منـــذ البداية، " يُعرف المشروع باسم مدرسة السيدة ماك مرتي الراقية" وهو من ابتكار ضابط جورجي يدعى (ادريان لندكويست) تدير المدرسة السيدة ماك نفسها ، وهي شخصية معروفه من واشنطن عينها كيم لتدير وحدة صغيرة باسم(أزياء ومواد تجميل) وتعرف اختصاراً باسم (C&C) "سي آند سي" لدعم عمليات (الهرب والتملص) التي يديرها ستيف ميد في آسيا الوسطى .ففي اجتماع الكادر في تشرين الأول في عام ١٩٥٠ نهض لندكويســـت ليبلغنا أنه يعتقد بأن هناك أسراراً خطيرة عن الأزمات الدوليـــة في رؤوس بعض الدبلوماسيين الأفارقة والآسيوين والأمريكيين الجنـــوبيين، ويمكـــن الحصول عليها من خلال دفع نساء جميلات مدربات نحوهم.

وقال:"إن السود والسمر والصفر في هذا العالم يفقـــدون أي حـــس لكتمان الأسرار، عندما يلتقون بنساء بيض يحملن صدوراً وأردافاً مليئـــة". واستمر قائلاً :"إن لدى المخابرات المركزية ، بعد أن جندت معظم كادرها النسوي من جامعات عدة ، عدداً كبيراً من النساء ممن يتمتعن بمثل هـــذه الصفات ، وأنهن يستطعن أن يخدمن بلدهن في نيويورك، من خلال الحصول

على الأسرار من موظفي الأمم المتحدة، أفضل من وجودهن في واشنطن يجمعن المعلومات من الصحف والإذاعات الأجنبية"(٢٤).

ويطال الاتهام العديد من الأسماء اللامعة في الوسط الفني ، ممن يثار اللغط حول علاقتهن المريبة مع المخابرات المركزية ، وقد لقيت أكثر من واحدة حتفها ، وفي ظروف غامضة ! كما هو شأن ممثلة الإغراء المشهورة "مارلين مونرو"، عشيقة الرئيس الأمريكي "جون كينيدي" والتي أوضحت الوثائق الأخيرة رفض الموقف الأمريكي الرسمي الإشارة إلى طبيعة علاقتها مع الرئيس كينيدي، ومثل ذلك عن اليهودية "أميلدا كليم" عشيقة الرئيس الأمريكي "جونسون"، والتي وجّهت – حسب شهادات الخبراء – موقف الرئيس جونسون بتأييده غير المشروط لإسرائيل خلال حرب حزيران١٩٦٧ ، الأمر الذي اعتبره المراقبون غريباً وغير مفهوم!.

٩- البحث عن عناصر المهمات الخاصة :

لتحقيق ما تصبو إليه الـ(C.I.A.) من الأهداف المتقدمة لابد من توفر عوامل مساعدة ، لملء المسامات التي ليس لها بمقدور رجال المخابرات النفاذ إليها ، ولسد الثغرات التي تعاني منها الوكالة على صعيد المعلومات ،

---

(٢٤) مايلز كوبلاند،المصدر السابق، ص١٧٣.

وعلى طريقة (أهل الدار أدرى بما فيها) فان الأجندة السرية ستعتمد علـــى أهل الدار بالدرجة الأولى، وتزداد أهمية، المعلومة تبعاً لأهمية المنبـــع. لـــذا يحرص رجال الـــ(C.I.A) على اصطياد نوعيـــات مفصـــلية ، بالدرجـــة الأساس ، للحصول على قاعدة بيانات حول مختلف الملفات المطلوبة ؛ من سياسية ، واقتصادية ، وأمنية ، واجتماعية ، وعسكرية..الخ .

وفي حالات كثيرة يفوق دور (المخبر) المحلي – من حيث الأهميـــة – بقية الأدوار. نظراً للخدمات (الجليلة) التي يقدمها ،وعلى هـــذا الأســـاس نشطت دوائر المخابرات المركزية في البحث عن عناصر مناسبة ، تقوم بمهمة تزويد الوكالة بالمعلومات ، إضافة إلى تقديم خدمات أخرى يقتضيها الموقف. وغالباً ما تُكلّف هذه العناصر بمهمات قذرة ، تتقاطع تماماً ومصالح مجتمعاقم العليا إنْ لم تصبْ في خانة التدمير المبرمج لتلك المجتمعـــات .. والشـــواهد عديدة في هذا الاتجاه ، ومنها ؛ عند قيام الدولة العبرية واجهت مشـــاكل عدة، ومن بينها قلة الأيدي العاملـــة ، فقامـــت المخـــابرات الأمريكيـــة والبريطانية معا في افتعال أزمات داخل بلدان مسلمة يمتنع رعاياهـــا مـــن اليهود عن التوجه إلى إسرائيل . ولقطع الطريق نهائياً أمام عودهم المحتملـــة من جهة ، ولتسهيل تدفقهم إلى الوطن الأم من جهة أخرى .، برزت الحاجة لعناصر تنبري لإرباك الوضع وإدخاله في دوامات العنف والأزمات ، فـــلا يكاد يخرج البلد من أزمة حادة حتى يدلف إلى أزمة أشد .. مـــع تركيـــز

مكثف على تمزيق التآلف الاجتماعي الشعبي وخلخلة البناء الاجتماعي لشعوب المنطقة ، فتدخلها في دوامات مدروسة لم تخرج منها حتى يومنا هذا[٢٥].

وقل مثل ذلك عن آثار النعرات الطائفية والنزعات المذهبية التي تعصف بالمنطقة كلها ،وتضعها على كف عفريت .. وقد أثبتت الوقائع أن للمخابرات الأمريكية والبريطانية يداً طويلة في إضرام الفتن الطائفية بين السنة والشيعة، من جهة ، وبين المسلمين والنصارى (كما هو الحال في لبنان ومصر) من جهة أخرى ، وثالثة إذكاء الروح العنصرية بين العرب وبقية القوميات المسلمة كالأكراد والبربر والفرس والأتراك ، ناهيك عن مسلسل مشاكل الحدود والمياه والتطاحن والتآمر، وتكريس الخصوصيات الوطنية بدلاً من إفشاء روح التفاهم والتعاون والتكامل .

نظرة فاحصة لخريطة الوطن الإسلامي واستحضار أزماته المعاصرة تكفي دليلاً دامغاً على مدى المؤامرة الكبرى، التي ما كان لها أن تمر لولا وجود الأرضية المناسبة، والتي تعاضد على تهيئتها علمانيون منفلتون وسلفيون متزمتون. وإذا ما أردنا وضع بعض النقاط على بعض الحروف ،

---

(٢٥)عناد عبد الصعب ،مقال "الحزب القائد بالخديعة "موقع كتابات.

فدونك حزب البعث والحزب الوهابي كنموذجين صارخين ، في خضم لعبة العلميات القذرة .

١٠- صناعة النخب السياسية :

بالرغم من أهمية النقاط التسعة السابقة، فإنها تظل في مهب الرياح، إذا افتقرت إلى الدعامة الأساسية لتوفير مستلزمات نجاحها، وتتمثل بتجنيد نخبة سياسية صنيعة ، تلتزم، وبانضباط ، بتنفيذ الخطة المطلوبة. بكل ما تتطلبه من؛ تقديم خدمات، تسهيل صعوبات وتذليل عقبات، مع حرص بالغ على توخي الحذر وأخذ الحيطة، بغية عدم إثارة الانتباه، أو إلفات الأنظار. وربما يتطلب الموقف السباحة عكس التيار أو ركوب موجة العداء لأمريكا، والصراخ بصوت عال بالشعارات المناوئة للامبريالية وأذنابها من الرجعيين وعملائها ومأجوريها ..!

في الوقت ذاته، كانت الطريقة أن تخفي وكالة المخابرات المركزية هوية عناصرها بغطاء يتوفر من خلال تعيينهم في مناصب عسكرية أو وظائف في السفارات أو غيرها من الهيئات والشركات الأمريكية . ويقوم هؤلاء العناصر المختصون بتجنيد عملاء يكونون عادة مواطنين من أهل البلد متعاطفين مع الولايات المتحدة أو أصحاب أفكار مؤيدة للغرب . وفي الغالب يدفع لهم مقابلاً مالياً عما يقدمونه من معلومات أو ينفذونه من

مهمات، بعد تمحيص يشمل تدقيقات واسعة في أصولهم ، وأحيانا حتى إخضاعهم للاختبار على جهاز الكذب .. وكانت أكثر الطرق شيوعاً لتجنيد العملاء من خلال المفاتحات : أشخاص يتقدمون لموظفين في السفارة الأمريكية أو غيرهم من المواطنين الأمريكيين المعروفين ، ويعرضون عليهم المساعدة أو مقترحات للتحالف .وبعد إحالتهم إلى الـ(C.I.A.) في البلد المعني يمكن أن يُصبحوا مصادر معلومات[٢٦].

ومع أهمية العناصر (المتفرقة) التي تصنف ضمن خانة "مصادر معلومات"إلاّ أن الاهتمام البالغ ينصب على العناصر ذات العمق السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، من قبيل قيادات أحزاب وحركات سياسية، ورجال أعمال، ووجهاء، وإقطاعيين، لما يتمتع به هؤلاء من مكانه مرموقة تؤهلهم للقيام بأدوار نوعيه لا تتسنى لغيرهم ، فضلاً عن أنهم يمثلون مصادر معلومات من الطراز الأول.

على صعيد العراق، ليس سراً يُذاع، أن الـ(C.I.A.) تحركت خلال عقد من الزمن [١٩٤٨_١٩٥٨] وبشكل حثيث على الأطراف سابقة الذكر، وأفلحت بكسب صداقات الكثيرين وتجنيد العديد منهم.غير أن صفعة قوية توجهت إلى تلك الجهود غداة يوم ١٤ تموز،حينما هاجمت

---

(٢٦) وليام جي .زيمان ، المصدر السابق ،ص ٢٥.

الجماهير الغاضبة سفارتي أمريكا وبريطانيا في بغداد، وكشفت ملفات عملاء السفارتين الذين يعدون بالآلاف!!، فافتضح أمر الجميع، إذ نبش النظـــام الجديد ... في الأرشيف القـــديم للحكومـــة. أمســـكوا بالبرهـــان بـــأن الـــ(C.I.A.) متضافرة مع الحكومة الملكية العراقية، تدفع جعالات لزعماء الحرس القديم.

أعتقل أمريكي يعمل بموجب عقد مع الـــ(C.I.A.)، يـــدّعي أنـــه كاتب لوكالة واجهة ، من أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكيين في فندقـــه، وأختفى دون أن يترك أي أثر. وهرب ضباط محطة الـــ(C.I.A.) [٢٧]. في الوقت نفسه أغلق العراقيون غالبية البعثات والممثليات الأمريكية ،بما فيهـــا مكتب الاستعلامات الأمريكي، ومجموعة الاستشارة والمعونـــة العســـكرية والقنصليات.كما أخضعوا السفارة الأمريكية إلى عمليات تفتيش وتحقيقات أمنية متكررة، وجعلوا تحركات الموظفين الأمريكيين تكاد تكون متعذرة.كان واضحاً أن العراقيين يفعلون ذلك لأن كل هذه الأجهزة والجهات معروفه بكونها الأماكن المعهودة لإخفاء عناصر الـــ(C.I.A.) تحت غطائها، ولأن تقارير كثيرة كانت بحوزهم عن أمريكيين يعبثون بشؤون العراق. ولا شك

---

(٢٧) تيم واينر، المصدر السابق ،ص١٩٨.

في أن هذه الإجراءات جعلت عمليات الوكالة بحكم المنتهية. حتى جمع المعلومات كان محدوداً بشدة نتيجة هذه القيود[(٢٨)].

حول هذه التداعيات يقول الباحث الأمريكي الجاد زيمان في أطروحته البالغة الأهمية (التدخلات السرية الأمريكية في العراق خلال الفترة (١٩٥٨-١٩٦٣)) :"في عام ١٩٥٨ اعترف وزير الخارجية جون دالاس بأن الولايات المتحدة لم يبق لها سوى القليل من مصادر المعلومات الاستخبارية في العراق، بعد سقوط حكومة نوري السعيد". فالولايات المتحدة فقدت الكثير من مصادرها بسقوط النظام القديم.فقد رحل المسؤول النفطي الأمريكي[(٢٩)] وانتهت الشبكات البريطانية الواسعة أيضاً. وكان من شأن هذه الخسائر أن تخلق حاجة ملّحة إلى إيجاد مصادر جديدة..وتعين تكرار العملية كلها من جديد في العراق، بعد وقوع الانقلاب." [(٣٠)] وهذا ما يحتاج إلى وقفة قصيرة لإماطة بعض اللثام عن طبيعة العلاقة المستجدة بين المخابرات المركزية الأمريكية والجهة السياسية العراقية التي كسبت الرهان عليها ،فحظيت بدعم وتبني الإدارة الأمريكية.

---

(٢٨) وليام جي .زيمان ،المصدر السابق ،ص٢٨.
(٢٩) وصف زيمان هذا الموظف النفطي الأمريكي بأنه "وثيق الصلة بالحكومة العراقية كما كانت تربطه صلات قوية مع المخابرات البريطانية التي لديها شبكات أوسع في العراق ، ينظر ويليام جي .زيمان ،المصدر السابق ،ص٢٤.
(٣٠) وليام جي زيمان ،المصدر السابق ،ص ٢٥.

تزايد الاهتمام بالملف العراقي

كثيرة هي الدوافع التي تطمع الآخرين بالعراق؛ فعمقه الحضـاري، وإرثه التاريخي، وموقعه الإستراتيجي، وثرواته البشرية والمعدنيـة..هـذه وغيرها تجعل من العراق محط الأنظار. ولا يمكن التفـريط بـه، أو عـدم الاكتراث بما يجري فيه من أحداث خطيرة ،لمجرد أن زعيماً وطنيـاً قلـب الطاولة في وجوه المستعمرين.وعليه لابدّ من إعادة الكرّة ثانية لكبح جماح هذا الحصان وإعادته إلى حضيرته، مهما كلّف الثمن!.

منذ البداية، تباينت المواقف إزاء حركة ١٤ تموز١٩٥٨، ففي حين قوبلت بالوجوم وعدم الارتياح من قبل الثنائي الأمريكي – البريطاني، وما يدور في فلكهما، وخاصة الأردن والسعودية..بينما أُستقبلت بحفاوة من لدن عدد قليل جداً من العواصم، وفي مقدمتـها القـاهرة، إذ سـارع جمـال عبدالناصر إلى إعلان دعمه وتأييده للنظام الجديد، ساعة الإعـلان عنـه. وكان العالم بأسره يتوقع أن يهبط عبدالناصر في بغداد،قادماً من موسكو في ١٨ تموز،ولكن عبدالكريم قاسم رفض السماح له بـالهبوط،وتعيّن عليـه التوجه إلى دمشق.ووصف قاسم زيارة عبدالناصر بأنها لا تأتي "في الوقـت المناسب"[٣١]، وكانت هذه الحادثة بمثابة "أول الوهن "في وشيجة العلاقـة

(٣١) المصدر نفسه ،ص٢٦

بين الفريقين،وبداية الاستفزاز للتيار القومي.وقبل مضي أسبوع واحد على قيام حركة ١٤ تموز بدأ الفتور يطفح على السطح بين عبدالكريم قاسم وجمال عبد الناصر، وكان لعبد السلام عارف دور كبير في توتير العلاقة بين الطرفين، بسبب إلحاحه اللجوج على قيام الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة، فيما كان عبد الكريم قاسم يرى عدم توفر الشروط الموضوعية لقيامها يومذاك ،وطلب التريث مؤقتا ريثما تتهيأ الفرصة المناسبة!

على أية حال وجدت المخابرات الأمريكية فرصتها الذهبية في نشوب الأزمة بين قاسم وعبد الناصر، فحاولت بأساليبها الشتى استدراج عبدالناصر لصالحها، في معترك الصراع الدائر بينها وبين عبدالكريم قاسم .

وبالفعل حققت خطوات ملموسة في هذا المضمار ، وإبتداءاً من ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٨ صار المخططون الأمريكيون يكثرون من الحديث عن إمكانية التقارب مع عبدالناصر ودعمه في المحاولة اللاحقة،لإسقاط قاسم،وتنصيب حكومة معادية للشيوعية. وكان عبد الناصر فاتح عناصرهم في القاهرة وبدا أنه يريد استطلاع القضية .وخلال الشهرين التاليين كانت مذكرات تأتي وتذهب في الاتجاهين وإجتماعات تعقد مع عبد الناصر. ويبدو أن تفاهماً من نوع ما قد تحقق. وكان الأمريكيون مستعدين للعمل مع عبد الناصر، لأنهم كانوا "يعتقدون أنه سيعمل بكل الوسائل المتاحة لديه، من أجل القيام بحركة مضادة للثورة في

العراق،حتى إذا كانت تنطوي على مخاطرة جسيمة تتمثل في الإضرار بعلاقاته مع السوفيت، وأنه سيكون مستعداً لقبول نظام قومي عراقي مستقل بصورة مؤقتة على اقل تقدير"[٣٢].

من خلال سير الأحداث المتلاحقة في العراق،يبدو أن ثمة صفقة عُقدت بين عبد الناصر والـ(C.I.A) حول تغيير الأوضاع هناك.وكانت السياسة الأمريكية التي رسمت في أوائل ١٩٥٩ تهدف إلى (إبداء النصح ضد قيام أصدقائنا ،لاسيما الأتراك والإيرانيين ،باتخاذ إجراءات استفزازية.. وينبغي أن نعمل في حدود قدراتنا،على أقامة صداقات مع أفراد ومجموعات بصوره لا تلفت الانتباه، من أجل إشاعة أجواء ملائمة أكثر للعلاقات الأمريكية – العراقية. وينبغي أن يشمل هذا أفراداً من داخل الحكومة وخارجها) [٣٣]. وهذا ما بدأوا به مع الاستمرار في تفعيل العلاقات مع عبد الناصر[٣٤].

وهكذا بدا حرص صانعي السياسة الأمريكية على تحقيق النفوذ والسيطرة في بلاد الرافدين، منذ اليوم الذي فقد فيه البريطانيون سيطرتهم

---

(٣٢) المصدر نفسه،ص٣١.
(٣٣) المصدر نفسه.
(٣٤) المصدر نفسه.

على العراق[٣٥] وإن كانت واشنطن – في الواقع – قد بدأ إهتمامها المركّز بالعراق قبيل سقوط الملكية ١٩٥٨.وتحديداً في أعقاب مؤتمر برمودا الذي أنعقد في آذار (مارس) ١٩٥٧، فبالرغم من المقاومة البريطانية للتغلغل الأمريكي في مناطق نفوذها ،منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ،لكنها إضطرت للاستسلام،مع وجود ماء الوجه،وذلك في مؤتمر برمودا ،بحضور الرئيس الأمريكي آيزنهاور ورئيس الوزراء البريطاني مكميلان، حيث قامت بريطانيا عملياً بتسليم جميع ممتلكاتها في الشرق الأوسط ، وتحل محلها الولايات المتحدة في إتفاق رسمي .. وبهذا ظهر إلى الوجود ما يسمى بمبدأ "آيزنهاور"[٣٦].

هنا ركزت الولايات المتحدة جل إهتمامها بالعراق بعد الإطاحة بالملكية المدعومة بريطانياً،كما يقول الثنائي آندرو- باتريك كوكبورن[٣٧].

أُصيبت واشنطن بالذهول، جرّاء وقوع الانقلاب العسكري الذي قاده الزعيم الركن عبدالكريم قاسم، وعلى إمتداد أسبوع كانت الثورة هي

---

(٣٥) المصدر نفسه،ص٦٤.

(٣٦) فؤاد قاسم الأمير، العراق بين مطرقة صدام وسندان الولايات المتحدة ،مؤسسة الغد للدراسات والنشر، بغداد ٢٠٠٤،ص ٢١.

(٣٧) ينظر كتابهما:صدام الخارج من تحت الرماد - ولادة صدام حسين من جديد،ترجمة علي عباس، مكتبة مدبولي، القاهرة ودار المنتظر، بيروت ،٢٠٠٠م/١٤٢١هـ ، ص١٢٦.

النبأ السائد في صحيفة "نيويورك تايمز"[٣٨] نظراً لأن الحدث لم يكن إنقلاباً عسكرياً عادياً. وكان الغرب يعرف هذه الحقيقة قبل غيره. ولعل أوضح ما جاء في جريدة التايمز اللندنية المحافظة والرصينة في ١٩٥٨/٧/١٥،وتقول فيه "إن الأزمة في العراق هي أزمة الوجود الغربي في الشرق الأوسـط..إذا نجحت ثورة ١٤ تموز فقد تحل بالغرب كارثة..."أمـا المجلـة السياسـية الاقتصادية الرصينة "الايكونومست" فقالت في ١٩٥٨/٧/١٩:"إن الوضع الراهن في الشرق الأوسط ينطوي على أكبر تهديد للاستقرار في المنطقـة، ولربما للسلام في العالم، منذ الحرب الثانية"[٣٩] ، وبنظر كثيرين في المؤسسة الاستخباراتية الأمريكية كان الانقلاب تطوراً كارثياً[٤٠].

وبإعلان راديو بغداد، القضاء على الملكية وتحول العراق إلى نظـام جمهوري، غصّت شوارع بغداد بالإحتفالات الصاخبة، وكانـت الحشـود المحتفلة معادية للغرب على نحوٍ واضح. قتل بعض البريطانيين والأمريكيين، ولكن عددهم كان قليلاً إزاء الغضب المكبوت على امتداد أربعين عاماً، من الوعود المنكوثة والسيطرة الاستعمارية[٤١].

---

(٣٨) وليام جي .زيمان ،المصدر نفسه ،المصدر نفسه ،ص٢.
(٣٩) فؤاد قاسم الأمير ،المصدر السابق ،ص ٢٢.
(٤٠) وليام جي . زيمان ،المصدر السابق، ص٢
(٤١) المصدر نفسه،ص٢٢.

فجأةً أصبح اهتمام الإدارة الأمريكية منصبّاً بالكامل على الشرق الأوسط،وفي يوم الانقلاب كتب مدير وكالة المخابرات المركزية ألن دالاس بعض الملاحظات الإيجازية خلص فيها إلى "أن إنقلاب العراق ،إذا تكلل بالنجاح يبدو من المحتوم تقريباً أنه سيطلق تفاعلاً متسلسلاً سيحكم بالموت على الحكومات الموالية للغرب في لبنان والأردن والعربية السعودية،ويخلق مشاكل كثيرة لكل من تركيا وإيران"(٤٢).

وحين بدأت واشنطن ولندن بالتحرك المضاد لعبد الكريم قاسم،كانت المحاولات متعثرة ، في بداياها وقد فشلت حركة الشواف العسكرية في الموصل في الثامن من آذار (مارس) ١٩٥٩،كما أخفقت محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم في السابع من تشرين الأول ١٩٥٩ ، الأمر الذي أربك – لفترة مؤقتة – الموقف الانكلو– أمريكي. ونرى الحيرة البريطانية في مذكرات مكميلان اليومية في تعليقه على مؤامرة الشواف: "إن التمرد الناصري في العراق قد فشل. بيد أن هذا يعني أن يسير النظام القائم أكثر فأكثر في طريق الشيوعية .نحن هنا في وضع تعيس ، بين الشيطان والبحر"(٤٣).

---

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) فؤاد قاسم الأمير ،المصدر نفسه ،ص٢٢.

في تلك الأثناء ،وفيما كان مكميلان يندب حظه العاثر في محاولته المشتركة مع حلفائه الأمريكان، الذين بدورهم كانوا يجاهرون بخشيتهم من تداعيات الأوضاع في العراق. ازداد قلق الـ(C.I.A) في آذار (مارس) عام ١٩٥٩ ،عندما أستخدم قاسم قوى شيوعية لقمع تمرد قومي عربي في الموصل. وفي نيسان (أبريل) شهد ألن دالاس مدير وكالة المخابرات المركزية الـ(C.I.A) أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ بأن الوضع في العراق هو"أشد الأوضاع خطراً في العالم"، وأن القوى الشيوعية على وشك أن تسيطر على العراق سيطرة كاملة"(٤٤).

نقاشات حادة خلف الكواليس

خلف الكواليس احتدمت النقاشات حول العراق في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومجلس الأمن القومي إلى درجة محمومة(٤٥). وتتحدث وثائق سرية [رفعت عنها مؤخراً صفة السرية] عن تفصيلات غاية في الأهمية، تكشف الوثيقة الأولى عن متابعة الملف العراقي، وعلى أعلى المستويات، بمن فيهم الرئيس آيزنهاور الذي بحث في الرابع عشر من تموز

---

(٤٤) وليام جي .زيمان ،المصدر السابق ،ص٢.
(٤٥) المصدر نفسه.

١٩٥٨ قضية الثورة في العراق مع أعضاء البرلمان. وفي الصفحة (٦) من الوثيقة هذه، نجد طلب الملك سعود احتلال العراق حيث نقرأ في رسالة أن الملك:

١. كرر طلبه الشخصي بأن تتدخل قوى حلف بغداد في العراق مضيفاً بأن الحلف هذا يمنح الحق بالتدخل.

٢. إن القوات الأمريكية والبريطانية يجب أن ترسل إلى الأردن لإنقاذه من الانجراف كما حصل في العراق.

٣. الولايات المتحدة والمملكة المتحدة إن لم تتحركا لإنقاذ العراق والأردن ..فإن أمرهما سينتهي كقوتين عظيمتين في الشرط الأوسط[٤٦].

أما الوثيقة الثانية فقد احتوت على معلومات أكثر خطورة من سابقتها (ستؤجل الإشارة إليها مؤقتا ريثما ننتهي من إشباع النقطة التي نحن بصددها). ومما ورد في الوثيقة رقم (٢) ما يلي:

---

(٤٦) المصدر نفسه، ص٥٣.

- "واشنطن فقدت إهتمامها بالعراق بعد ثورة عـــام ١٩٥٨ وانتفاضـــة الموصل عام ١٩٥٩، ومحاولة الــ(C.I.A) الفاشلة لاغتيال عبدالكريم قاسم عام ١٩٦٠ باستخدام منديل دُسَّ فيه سُم".

- "لم يظهر العراق فعلاً على رادار السياسة الخارجية الأمريكية مرة ثانية إلا بعد أن أحيا قاسم ذكر المطالبة بالكويت في ٢٥ حزيران ١٩٦١. وفي الأول من تموز قام البريطانيون باحتلال الكويت ليظلوا هناك ولا يغادروها حتى ٢٩ أيلول.

- في ١٨ كانون الأول ،أعرب مساعد وزير الخارجية فيليبس تـــالبوت عن نذير جديد مصدره ما كان يحدث في العراق. فبعد .. موضـــوع الكويت .. أخذ العراق يتقرّب أكثر فأكثر من الكتلة الســـوفيتية .. نعتقد بأن مرحلة جديدة قد بدأت .. حيث أن الحكومة العراقية قـــد اتخذت خلال الأسبوعين الماضيين خطوات عديدة تبدو بأنهـــا تفســـح المجال أمام الشيوعيين في الداخل أن يُدّعموا بشكل كـــبير مـــوقفهم الداخلي .

- بالإضافة إلى ذلك؛ فقد أقدم العراق على اتخاذ الخطوة بالغـــة الأثـــر المتمثلة في مصادرة جميع المناطق التي مُنِحت حقوق امتياز فيها والتابعة لشركة البترول العراقية (وفروعها) عدا الحقول التي تنتج النفط الآن..

ونتيجة للتحرك العراقي ضد شركة البترول العراقية فإن من المحتمل جداً أن ينشأ شعور قوي بأن علينا أن نتدخل في الشؤون العراقية(٤٧).

كما تكشف وثائق سرية أخرى عن تورط وكالة المخابرات المركزية، في العديد من محاولات تآمرية ضد حكومة عبدالكريم قاسم، "وقد أُقترحت خلال السنوات الأربع التالية إجراءات عديدة بينها غزو العراق.هذا على أقل تقدير ما يتضمنه السجل الرسمي المنشور"(٤٨).

في مثل هذه الأجواء الملبدة،كانت مسارات الأحداث في المنطقة عموماً، مبعث قلق أكيد للمعنيين في واشنطن، وعلى رأسهم مدير وكالة المخابرات المركزية ألن دالاس، وشقيقه ذي السطوة الكبيرة وزير الخارجية جون دالاس ..ومما زاد في تعقيد الموقف وتسميم الأجواء أكثر أن الشقيقين "دالاس"يشتركان في النظر إلى الحرب الباردة نظرة دينية ،بوصفها جزء من الصراع "المتواصل بين الخير والشر .. بلا حدود في الزمان أو المكان"(٤٩)

---

(٤٧) للمزيد: ينظر نص الوثيقتين :وليام جي .زيمان ،المصدر السابق ،ص٥٣-٥٤.
(٤٨) المصدر نفسه،ص٢.
(٤٩) المصدر نفسه،ص٢٣.

ولم يكن الحياد وارداً بل يجعل الدولة غير المنحـازة بيـدقاً في المعسـكر اللاأخلاقي سواء أكانت واعية أو غير واعية(٥٠).

بهذه النظرة الضيقة كانت ملفات المنطقة تدار، من قبل أخطـر وأرفـع مسؤولين في الجانب السياسي والمخابراتي، ومما يزيد الطين بلّـه إن هـذين الشقيقين كانا يمارسان تأثيراً عميقاً على مراكز القرار في واشنطن .وقد لحق بالعراق الشيء الكثير من الكيد التآمري، جرّاء سياسة الشقيقين دالاس ، إضافة إلى الطامة الكبرى المتمثلة بفرادة الملف العراقي في دائرة الاهتمـام الأمريكي .

عن ذلك يتحدث مايلز كوبلاند وهو يحاور أحدهم "وشـعر بالنشـوة عندما أخبرته أن وزارة الخارجية قد أبلغتنا بأن نضع "خطة رائدة" نستطيع من خلالها إحداث تغيير كبير في بلد عربي معين،وإذا ما وجدنا أنه بالأمكان فعل ذلك،عندها سنجرب الأمر في البلدان الأخرى.كان العراق هـو أول تجربة مغرية،لأنه ولأسباب عملية يعتبر دولة بوليسية حكومة غير شعبية.إلا

---

(٥٠) المصدر نفسه، ولعل هذه (الحكمة) الدالاسية قد تلقفها حزب البعث وطبقها بحذافيرها ،حين رفع شعاره الشهير:"من لم يكن معنا فهو علينا "!!.

أنه بلد لا يستطيع فيه أي فريق عمل سياسي مجرّب ،إذا ما تركنا جانباً فريقاً حديث التكوين ،أن يعمل دون قبول ومعرفة البريطانيين.."[٥١].

وفق هذا الإيقاع الذي تكتنفه السرية التامة والحذر الشديد والحيطة القصوى..أُعطيت الأوامر لضباط الـــ(C.I.A) بالعمـــل مـــع زعمـــاء سياسيين، وقادة عسكريين، ووزراء أمنيين ،وأصحاب النفوذ..عارضين المال والسلاح في مقابل تحالفات مناهضة للشيوعيين"[٥٢].

بدأت وكالة المخابرات المركزية عملياتها السرية والتي يغلب عليهـــا الطابع اللاأخلاقي مما (ألحقت ضرراً فادحاً بالمصالح الأمريكية) كما يقـــول كوبلاند[٥٣]، رغم وجود شرط صارم من قبل مركز القرار يؤكد على "أن عملياتنا يخطط لها بحيث تبدو الحكومة الأمريكية غير مسؤولة عنها في حالة كشفها"[٥٤].

وفي سياق محاولاتها العديدة لإسقاط عبدالكريم قاسم ،لاحظت وكالة المخابرات المركزية أن بالإمكان اســتخدام الكـــرد لإضـــعاف الحكومـــة

---

(٥١) مايلز كوبلاند ، المصدر نفسه،ص١٣٤.
(٥٢) تيم واينر، المصدر السابق، ص١٩٨.
(٥٣) ينظر كتابه :حياة مايلز كوبلاند ، المصدر نفسه ،ص٢٥٧.
(٥٤) المصدر نفسه، ص١٧٢.

العراقية..وقد نوقشت الفكرة في الاجتماع الثلاثمائة وثمانين لمجلس الأمن القومي في ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٨.. حيث أعرب مدير الـ(.C.I.A) ألن دالاس عن قلقه من هذه الإمكانية ،خشية دخول الإتحاد السوفيتي على الخط ، فتم إرجاؤها..وفي نهاية المطاف عمدت وكالة المخابرات المركزية نفسها إلى استخدام هذه الإستراتيجية لاحقاً[٥٥].

وهكذا دخلت الولايات المتحدة بكل ثقلها لحياكة وإحداث انقلابات وتمردات وعدم استقرار في العراق..ساعدها في ذلك عدد من المعطيات التي برزت في الساحة العراقية،من قبيل تردد عبدالكريم قاسم في بعض مواقفه ، وتزايد التجاذبات حوله ،وابتعاده عن الشيوعيين، وظهور البعثيين كقوة قومية "مستقلة عن الناصرية ،خصوصاً بعد انفصال سوريا ومصر، وتأييد البعث لهذا الانفصال..لذا رأت بريطانيا أنها بالإمكان تحقيق مصالح مشتركة مع الولايات المتحدة بالإطاحة بثورة تموز بالاعتماد على حزب البعث.إن اتخاذ حكومة قاسم خطوات نحو تأميم النفط ،ودخول الكويت ..عجلت باتخاذ قرار الإطاحة المشترك الأمريكي- البريطاني،على أن يكون حزب البعث على رأس الثورة المضادة[٥٦].

---

(٥٥) وليام جي.زيمان ،المصدر السابق ،ص٢٧.
(٥٦) فؤاد قاسم الأمير، المصدر السابق ،ص٢٣ (بشيء يسير من التصرف).

أما لماذا الرهان على حزب البعث ..والبعث وحـــده ؟! في الوقـــت الذي تعج فيه الساحة العراقية بعشرات الاتجاهات السياسية ؟!

هذا هو التساؤل المثير ..

بعض الجواب نجده في ثنايا المرحلة الثانية من مراحل العلاقـــة بـــين البعث والمخابرات الأمريكية.

الإعداد والتحرك

في غمرة التداعيات الخطيرة التي شهدها المنطقة عامة، وبلاد الرافدين بشكل خاص.. وما تزامن مع ذلك من تصاعد موجة العداء لأمريكا، بفعل تدخلاتها الفجة في العديد من بقاع العالم، بحثاً عن مناطق نفوذ لها، لتعزيز موقفها بالضد من الإتحاد السوفيتي، وفيما كانت سنوات الحرب البـاردة يستعر لهيبها باضطراد، ويحتدم الصراع بين المعسكرين كلما تمددت موسكو على المساحات التي تعتبرها واشنطن مناطق نفوذ خاصة لها.. وهكذا بـرز شعار "الموت أفضل من الشيوعية"، وسيطر على الإدارات الأمريكية، ذلك الوقت، على حد تعبير ضابط المخابرات الأمريكية السابق:دافيد هو كورت الذي مضى يقول في مذكراته التي نشرها عقب غزو العراق، (٢٠٠٣ م): "كانت هذه الإدارات الأمريكية تتحالف مع أي نظام حكم، بغض النظـر عن دكتاتوريته أو استبداده، مادام مناهضا للشيوعية. وكان الأمريكيـون

على استعداد للتعامل مع أي كان إذا كان سيساعد أمريكا في حربها ضد الشيوعية".

ويقول: "لذلك فعندما بدأ رئيس الوزراء العراقي الأسبق عبدالكريم قاسم التقارب مع الإتحاد السوفيتي في الستينات، وقام بتعيين عدد من الشيوعيين في مناصب حكومية مرموقة.. بدأت واشنطن تحاول البحث عن وسيلة للتخلص منه"[١].

بهذه الخلفية بدأت الإدارة الأمريكية تحركها المناهض لعبد الكريم قاسم، والذي مضت فيه حتى النهاية المرسومة، رغم علمها الأكيد بأن الزعيم العراقي لم يكن شيوعياً يوماً قط، إن لم يكن بالضد منهم تماماً في سنيه الأخيرة، وكل جريرته – حسب الرؤية الأمريكية– أنه لم يساير في ركابهم، ولم يحقق لهم مصالحهم، وآثر مصلحة البلد العليا، بعيدا عن الهيمنة الغربية، والرضوخ إلى كارتلاتها وسياساتها الرامية إلى استغلال ثروات العراق، وإعادته إلى بيت الطاعة، بأية وسيلة، بما فيها التآمر لإسقاطه وسحقه بلا رحمة، دونما مراعاة لأبسط الشعارات التي دأبت على رفعها والمتاجرة بها،

---

(١) مجدي كامل، الحكام العرب في مذكرات زعماء وقادة ورجال مخابرات العالم ،دار الكتاب العربي، القاهرة ٢٠٠٨ ،ص٣٢٨.

من قبيل: الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحق الشعوب في تقرير مصيرها..الخ.

وهكذا تبنّت واشنطن إسقاط حكم عبدالكريم قاسم (عاجلاً أم آجلاً) في نهاية عام ١٩٦١، وقد أشارت مضامين العديد من تقاريرها الدبلوماسية والاستخبارية إلى ذلك، وحتم واقع الحال عليها، في ظل المساومة، ضمن مفاهيم السياسة ولعبتها، التعاون مع القوى القومية السياسية المناهضة لحكم عبدالكريم قاسم، مما فرض الوصول في علاقاتها مع الحكومة العراقية إلى التوتر، ثم التقاطع والتصادم فيما بعد، وكانت نهاية المطاف سقوط حكومة عبدالكريم قاسم في ٨ شباط ١٩٦٣"(٢).

وقد بلغ التدخل في شؤون العراق الداخلية حداً سافراً، من قبل الإدارة الأمريكية، وبهذا الصدد تُفيد أوساط مطّلعة "أن السفير الأمريكي في بيروت كلّف أحد أقارب عبد الكريم قاسم بتحذيره من مغبّة التوقيع على مسودّة قانون النفط ،إلا أن الأخير رفض الانصياع للتهديد الأمريكي ووقّع

---

(٢) د.عبدالله حميد العتابي، مقال "٨ شباط ١٩٦٣..الانقلاب الذي جاء بقطار أمريكي"، انترنيت

على القانون.. وقد عدّ بعض السياسيين الإنذار الأمريكي بمثابة الضوء الأخضر للبعثيين بتنفيذ انقلابهم في الثامن من شباط ١٩٦٣"[٣].

لقد كان النفط – على الدوام – عاملاً أساسياً في تاريخ توجهات الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق، وتعاظم دوره وزيادة أهميته بسبب حاجة العجلة الصناعية الغربية المتنامية باندفاع له، وبعد إصدار قانون رقم (٨٠) لعام ١٩٦١، الذي تم بموجبه سيطرة الحكومة العراقية على ٩٩,٥% من أراضيها غير المستثمرة من شركات النفط، اختلف الأمر جذرياً في حسابات الإدارة الأمريكية، وعُدَّ القانون ناقوس الخطر لمصالح الولايات المتحدة في المنطقة، فضلاً عن انعكاسات قد تؤدي إلى إسقاط حكومات تدور في فلك الولايات المتحدة، ومنها حكومة إيران آنذاك، وفي كلام ذي صلة بالموضوع أدرك الساسة الأمريكان أن التطورات الداخلية في العراق، ومنها على وجه الخصوص مطالبة العراق بضم الكويت في حزيران ١٩٦١ سيلقي بظلاله في تراجع العلاقات العراقية – الأمريكية.

ومهما يكن من أمر، إرتأت وزارة الخارجية الأمريكية أن أحسن السبل للتصدي لحكم عبدالكريم قاسم أن تمارس القوى القومية في العراق ضغطاً قوياً لإزاحة حكمه، وإيجاد حكومة عراقية جديدة تتولى زمام الأمور

---

(٣) المصدر نفسه.

في البلاد، وتنتهج سياسة خارجية متوازنة تجاه دول الغرب عموماً، وقد شاطر البريطانيون وجهة النظر الأمريكية، كما ورد في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية.

تشير الوثائق الأمريكية المنشورة إلى تمادي الدوائر الحكومية ،ومنها المخابرات والدفاع والخارجية في رسم الخطط الكفيلة لإسقاط حكم عبدالكريم قاسم، بالتنسيق مع الحكومة البريطانية، التي بعثت تقريراً إلى الإدارة الأمريكية يتضمن وجهة نظرها تجاه التطورات الداخلية في العراق تحت عنوان "احتمالية سقوط قاسم والعواقب التي ستواجهها المملكة المتحدة والغرب"[٤].

ولعل من الضرورة الإشارة هنا، بأن هذه الخطوة التآمرية لم تكن الأولى من نوعها، بل سبقتها محاولات عديدة، من أبرزها الخطة السرية للغاية التي استهدفت غزو العراق عام ١٩٥٨، عقيب الإطاحة بالنظام الملكي الموالي للغرب، وقد أعدتها هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية تلك الخطة التي حملت اسم "عملية كانونبون **operation Cannonbone**".

---

(٤) المصدر نفسه.

وكان من المقدر لها أن تُنفّذ عبر الأراضي التركيـــة.. غــير إن ثمــة إجراءات أقدم عليها عبدالكريم قاسم، من قبيل ابتعاده عن عبد الناصــر، وإطلاقه مبادرات ودّية باتجاه الدبلوماسية الأمريكية، وعدم قطعه إمدادات النفط ،وعدم تدخل السوفيت بقوة في الشأن العراقي.. الأمر الذي ساعد عبدالكريم قاسم على نزع الفتيل عن الوضع المتفجر.. ورغم ذلك احتفظت كواليس القرار الأمريكي بالخطة إياها لحالات الطوارئ.. وإمكانية نشــوء الحاجة إلى الغزو .. [٥].

التدخل المباشر

على أن التدخل الأمريكي الحقيقي المباشر لإسقاط حكم عبـــدالكريم قاسم بدأ خطواته الجادّة والفعالة بداية سنة ١٩٦٢، حسب شهادة "جيم كريتشفيلد"(مسؤول الوكالة في أوربا يومئذ) والذي أسرَّ به الدكتور أحمد الجلبي، فقال:"كُلّفت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (.C.I.A) مــن جانب رئيس الولايات المتحدة بمجابهة الإتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي في العراق، فعملت الــ(.C.I.A) بشكل مباشر وبتحالف مع النظام المصري حينها بزعامة جمال عبد الناصر، وتعاونت مع حزب البعـــث في العـــراق،

---

(٥) وليام جي.زيمان ،المصدر السابق ،ص٢٤،٢٦.

خصوصا كوادر الحزب في القاهرة، ومن ضمنهم صدام حسين،على تشجيع وتأهيل الحزب لتسلّم السلطة.. وقد أعدّت الوكالة بالتعاون مع البعثيين قائمة بأسماء ١٧٠٠ شخص تقريباً يجب تصفيتهم، لدى قيام أية حركة ضد عبدالكريم قاسم.. وفعلا نُشرت هذه الأسماء عبر إذاعة سرية للأمريكيين في منطقة الشرق الأوسط(٦).

وفيما كانت محطات الوكالة تنشط في تنفيذ المخطط المرسوم، بالتنسيق مع العواصم العربية المعنية بالشأن العراقي:[القاهرة، الرياض، الكويت، عمّان]، كانت العاصمتان غير العربيتين [طهران وأنقرة] تشهد حراكاً سرياً حثيثاً في هذا الاتجاه(٧). ولئن أقتصر الدعم السعودي-الكويتي على الجانب اللوجستي، فإن بقية العواصم الأخرى [القاهرة، طهران،أنقره، عمّان] ساهمت بقوة في تنفيذ المخطط، ببعده المخابراتي، بالنيابة عن المخابرات الأمريكية، وقد قامت المخابرات المصرية بلعب الدور الفعال، وقامت بتنفيذ معظم عمليات الدفع نيابة عن الـ(C.I.A.) حسب اعتراف

---

(٦) جريدة المؤتمر (لندن) .العدد ٣٠٤، ٢٠٠٢/٥/١٨ (نقلا عن مقال دور المخابرات الأجنبية في انقلاب ٨ شباط الدموي لعبد الخالق حسين ،المنشور على الانترنيت).

(٧) وليام جي . زيمان، المصدر السابق ،ص٢٨.

أحد كبار ضباط الوكالة (ريتشارد سايل) الذي أستمر في رفض الإفصاح عن مصادر معلوماته.. مكتفياً بالقول: إنني متأكد من صحة ذلك[٨].

وهذا لا يعني – بأي حال من الأحوال– التقليل من دور مكتب الوكالة في الكويت، الذي كان يزوّد قادة الانقلاب البعثي بالتعليمات، ومتابعة تطورات الموقف معهم، أولا بأول..تماماً كما فعلت الوكالة المركزية في اندونيسيا قبل بضعة أعوام[٩].

هنا يثار تساؤل خطير: أين كانت مخابرات عبدالكريم قاسم عمّا يُحاك ضد حكمه، في العواصم المحيطة بتخطيط أمريكي؟

لقد كانت الأجهزة الأمنية لنظام عبدالكريم قاسم على دراية بما يجري من تحركات محمومة مضادة للوضع القائم يومذاك، وقد نقلت بالفعل تقارير عن دسائس عديدة تُحاك ضد حكم عبد الكريم قاسم. وكانت الحكومة العراقية لاحظت وجود قدر من التعاون الأمريكي الخفي مع عدد من العواصم الإقليمية، بهدف الإطاحة بالنظام الحاكم. وبحسب ملفات أمريكية يعود تاريخها إلى ١١ تشرين الأول (أكتوبر)١٩٥٩، فإن وزير الخارجية العراقي "عبد الجبار الجومرد" أفصح في حينه عن علم حكومته "بوجود

---

(٨) المصدر نفسه، ص٤٥.
(٩) المصدر نفسه، ص٤٦.

أعداد كبيرة من العملاء الأمريكيين المتوجهين إلى إيران وأماكن أخرى من المنطقة،للعمل على تنفيذ ثورة مضادة في العراق"[١٠].

مؤشرات عديدة توفرت لدى عبد الكريم قاسم عمّقت الشكوك التي كانت تساوره حول وجود حلقة بين الأمريكان والبعثيين ،فقد رفض مقابلة القائم بالأعمال الأمريكي"ملبورن" في نهاية عام ١٩٦٢، بعد أن قدّم الأخير طلباً لمقابلته، بناء على توجيه من حكومته، لغرض نفي الإدعاءات (الباطلة) من أعداء الولايات المتحدة بأنها تحاول تقويض حكمه، ويلاحظ أن الحكومة الأمريكية كانت ترغب في هذا التطمين، خوفاً من اتخاذ عبد الكريم قاسم قراراً بإبعاد بعض من دبلوماسييها، فضلاً عن امتلاكها استخبارات ذات قيمة كبيرة في العراق، كما ورد في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية إلى سفارتها ببغداد، في الخامس من شباط ١٩٦٣ .

تسارعت الأحداث بشكل خطير يُنذر بعواقب وخيمة، وتصاعدت المواجهة بين الطرفين، على كافة الأصعدة. وفي خضم ذلك جنّدت واشنطن كل وسائلها الدبلوماسية والاستخبارية لمراقبة ما يجري من تطورات على الساحة العراقية.. ولاسيما بعد تفاقم الخلاف الأمريكي – العراقي الذي كان يسير من سيء إلى أسوأ، بسبب اتهام عبد الكريم قاسم للولايات

---

(١٠) المصدر نفسه، ص٢٧.

المتحدة، في مطلع شهر شباط عام١٩٦٣، بالتخطيط لقلب نظام حكمه لعدم انصياعه لسياستها(١١)، وتهديدها إياه بتزويد بعض العناصر العراقية بالسلاح لإثارة الفتن في البلاد(١٢).

وعلى الرغم من أن عبد الكريم قاسم لم يعلن رسمياً أن البعثيين يعدّون للانقلاب للإطاحة به، إلا أن إجراءاته في الثالث والرابع من شباط ١٩٦٣ بإحالة ثمانين ضابطاً من البعثيين والقوميين(١٣) وإلقاء القبض على بعض القادة البعثيين منهم علي صالح السعدي، في الخامس من الشهر نفسه، ينهضان دليلين واضحين على شعور عبد الكريم قاسم أن مؤامرة بعثية واسعة النطاق ستقضي عليه"،كما يقول د.سنان صادق الزيدي، الذي مضى يقول:"ومن غير المستبعد أنه لم يدرك وجود خيوط اتصال بين الأمريكيين والبعثيين"(١٤).

---

(١١) د. سنان صادق حسين الزيدي، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق ـ عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف، مكتبة مصر، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٣.
(١٢) المصدر نفسه.
(١٣) المصدر نفسه.
(١٤) المصدر نفسه.

تلاحق الأحداث في بغداد

جاءت الأحداث المتلاحقة لتؤكد هذه المخـاوف. ففـي الأسـابيع الأخيرة التي سبقت انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ شهدت الساحة السياسـية تصعيداً واضحاً. ومن المرجح أن الدوائر الدولية المعادية لعبد الكريم قاسم (الأمريكية والبريطانية تحديـداً) سـاهمت في ذلـك التصـعيد، تمهيـداً لتوجيه"الضربة القاضية". فبعد صدور الأحكام التي أصدرها المجلس العرفي العسكري الأول بحق المسؤولين عن التخريب في أنابيب النفط بكركـوك، وعلى رأسهم النائب اللبناني أميل البسـتاني.. عمـدت القـوى المناوئـة لعبدالكريم قاسم (البعثيون والقوميون) إلى تحريك إضراب للطلبة في بغداد يوم ١٩٦٢/١٢/٢٩ واستمر لعدة أيام مقطعة، ليندلع في السـابع مـن كانون الثاني ١٩٦٣ إضراب في كلية الحقوق واعتصام في جامعة بغـداد، من قبل الجهتين نفسيهما اللتين نظمتا إضراباً عاماً ضد عبد الكريم قاسم في الخامس والعشرين من الشهر نفسه، وفي اليوم ذاته أعلن عن لجوء الملحـق الثقافي العراقي في بيروت إلى الكويت رافضاً العودة إلى العراق[١٥].

في غضون ذلك أقدم عبد الكريم قاسم على عدة إجراءات من قبيل "توجيه ضربة استباقية" للمتآمرين عليه. فلم يكتفِ بتوجيه الاتهام إلى هذه

---

(١٥) ينظر: العراق وقائع وأحداث، ق٢، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، بغداد، ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ، ص ١٢٧ وما بعدها.

الجهة أو تلك، بل خرج عن طوقه في التهجم علـــى الإدارة الأمريكيـــة، حسب القائم بالأعمال الأمريكي "روي ملبورن" الذي كتب في تقرير له إلى واشنطن:"إن صحيفة الثورة البغدادية قد أخذت تنشر العنـــاوين المـــثيرة، ومنها:القائد يحذر واشنطن"(١٦).

صدر ذلك التحذير في الثامن والعشرين من كانون الثـــاني ١٩٦٣، وفي اليوم نفسه أوضحت الخارجية العراقية، في بيان لها، الأسباب والظروف التي دعت إلى سحب الملحق في السفارة المصرية ببغـــداد. وفي الأول مـــن شباط نشرت الصحف إعلان رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم "أن (٦٥٠) من متمردي الشمال ألقوا السلاح وأن هذا العدد بازدياد"(١٧)، كما أعلن عبد الكريم قاسم في مؤتمر صحفي مساء اليوم نفسه أن احتياطياً هائلاً من النفط الخام قد اكتشف في المناطق التي تم الاستيلاء عليها، وعادت ملكيتها إلى الشعب العراقي نتيجة لتشريع قانون رقم (٨٠) لسنة ١٩٦١. وقال إن كميات الاحتياطي تُقَدّر بحوالي (٣٥٠٠) مليون طن من النفط(١٨).

لم يمضِ سوى يومين على هذين الإعلانين المثيرين للاهتمـــام، حـــتى أصدر عبد الكريم قاسم أوامره بإلقاء القبض على كل من علـــي صـــالح

---

(١٦) المصدر نفسه.
(١٧) المصدر نفسه.
(١٨) المصدر نفسه.

السعدي وصالح مهدي عماش القياديين البعثيين، خاصة وأن كثيراً من الشبهات كانت تحوم حول الثاني، لعلاقته الوطيدة مع الدوائر الأمريكية وخاصة الـ(C.I.A.).

أجهزة الرصد الغربية لم تكن بعيدة عمّا يجري في العراق يومئذٍ. بل إن دوائر المخابرات الأمريكية العاملة في بغداد، كانت قريبة من التطورات على الساحة العراقية. فقد أشار تقرير أمني لوزارة الدفاع الأمريكية في الثامن من شباط ١٩٦٣، على وفق معلومات مستقاة من المخابرات الأمريكية، أن القادة البعثيين الذين بقوا خارج الاعتقال، حاولوا الإسراع في الانقلاب(١٩)، ومما يطابق هذه المعلومات الأمريكية ما جاء في مذكرات هاني الفكيكي أحد القادة البعثيين(٢٠) ويبدو أن تلك المعلومات التي وصلت إلى أروقة الاستخبارات الأمريكية، جاءت أغلب الظن عن طريق صالح مهدي عمّاش الذي طلب من الملحق العسكري الأمريكي بيل لوكلاند (B.Luk.Land) في العراق، أن يتصل بالمقدم الركن محمد المهداوي وعدد من الضباط العراقيين في واشنطن، ليعلمهم بتوخّي الحذر من قدومهم

---

(١٩) د. سنان صادق الزيدي، المصدر السابق، ص٢٤.
(٢٠) المصدر نفسه.

إلى بغداد خوفاً من اعتقالهم[٢١]. ومع أن هذا الاتصال لم يحدث أول مرة، وهناك خيوط اتصالات للقادة البعثيين بالأمريكيين سبقت الثامن من شباط ١٩٦٣، بمدة طويلة، كما أشارت إلى ذلك روايات متعددة"[٢٢].

وعلى الرغم من الإجراءات الاحترازية التي اتخذها عبد الكريم قاسم ضد المتآمرين عليه، إلا إنه أُخذ على حين غرّة، ولم يكن بوسع إجراءاته تلك أن تجديه نفعاً، لأن المؤامرة أكبر مما كان يظن، والمباغتة التي فاجأه بها المتآمرون أسرع مما كان يتوقع من خصومه الذين لم يكترث بهم كثيراً، لمعرفته الكاملة بقدراتهم المحدودة، مما يعني أن الأجندة التي اتكأ عليها الإنقلابيون كانت تفوق قدراتهم التنظيمية والسياسية واللوجستية، وهذا ما يعزّز القناعة – الراسخة أساساً – بضلوع اللعبة الدولية في إنقلاب ٨ شباط ١٩٦٣: تخطيطاً ودعماً وتنفيذاً. وهذه النقطة تستحق التوقف أمامها، ومن حقنا أن نتساءل: كيف تمكنت المخابرات الأمريكية من التسلل إلى مركز القرار في حزب البعث؟، وأين استطاعت العثور على فرسان سباقها؟ ومتى أفلحت في توجيه دفّة الأمور حسب مخططاتها؟ والأخطر من هذا وذاك؛ لماذا كان الرهان على حزب البعث دون سواه؟!.

---

(٢١) يزعم طالب شبيب العضو القيادي يومئذ بأن عماش عرض الأمر على قيادة حزب البعث على أنها مبادرة شخصية منه.

(٢٢) د. سنان صادق الزيدي، المصدر السابق، ص٢٤.

لا شك أن هذه التساؤلات تتطلب بحثاً مستفيضاً ليس من الممكن إيفاؤه حقه، في هذه العجالة، وعليه سنكتفي بإشارات سريعة، ريثما يتوفر باحث جاد على سبر غور هذا الموضوع الشائك، مستعينين بما هو متوفر لنا من وثائق ومذكرات وشهادات .

حسب وثائق أمريكية سرية، تفيد بأن واشنطن آثرت الترقب لمآلات الوضع في العراق، إثر الإخفاقات المتعاقبة للعمليات السرية الأمريكية الخاصة بالشأن العراقي.. ولم يظهر العراق فعلاً على رادار السياسة الخارجية الأمريكية ثانية إلا بعد أن أحيا قاسم المطالبة العراقية بالكويت في ٢٥حزيران ١٩٦١، إضافة إلى عدة خطوات أقدم عليها عبد الكريم قاسم استفزت الإدارة الأمريكية، فقرعت ناقوس الخطر، على لسان مساعد وزير الخارجية "فيليبس تالبوت" في الثامن عشر من كانون الأول (ديسمبر) لذلك العام.

وفي سياق مبدأ ما عرف بـ"الدبلوماسية في الأعماق"، انتهجت الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس كنيدي سياسة خارجية تضمن لها التدخل المباشر في شؤون المنطقة، وبغية تحقيق هذا الهدف، كانت السمة البارزة على دبلوماسيتها تجاه دول المنطقة عموماً، الجمع بين أساليب السيطرة المباشرة والسيطرة غير المباشرة، والتي لا تخلو من مرونة مطلوبة، مع المحافظة على التبعية الاقتصادية إلى أقصى حد ممكن إلى جانب حرصها على بقاء مصالح

الدول الغربية، لتضمن دعم تلك الدول لسياستها في المنطقة ولترتبط مصيريا بها، بحجة تطويق الاندفاع السوفيتي نحو دول المنطقة التي عُدّت آنذاك، ولا تزال تُعّد، امتحاناً لسياسة واشنطن، وشغل العراق مركزا مهماً جدا بالنسبة إلى سياستها الجديدة.

ومما لهو دلالته بهذا الشأن ما ذكره الرئيس كنيدي، وهو "أن الحكومات القومية أكثر قدرة على مواجهة التحدي الشيوعي من الأنظمة القديمة التي حلت محلها"، وبحسب الباحث الأمريكي بريسون، انتهجت الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس كنيدي (تكتيكات جديدة)، اتسمت بمقدار غير قليل من التقارب مع الحركات القومية العربية[٢٣].

وفي الرابع من حزيران ١٩٦٢ كتب بوب كومير إلى تالبوت في وزارة الخارجية ليقترح تعديلاً على سياسة "انتظر وأنظر إلى النتائج" التي تنتهجها بخصوص الوضع في العراق. تقول وثيقة سرية:"فِلمَ لا ندرس على الأقل طرقاً يمكننا من خلالها أن نؤثر بإيجابية أكبر في صيرورة الأحداث ؟ فهل لدى الـ(C.I.A.) أية أفكار تفيدنا بها؟"[٢٤].

---

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٢.
(٢٤) وليام جي. زيمان، المصدر السابق، ص ٥٥.

سارعت المخابرات المركزية في توضيح الموقف عبر وثيقة سرية، جاء فيها:"مجاميع عراقية عديدة من "مجاميع التخطيط" طرقت أبواب السفارتين البريطانية والأمريكية، ليعرضوا مساعدهم في الإطاحة بقاسم"[٢٥]. وقد تطرقت الوثيقة المؤرخة بتأريخ الخامس والعشرين من حزيران ١٩٦٢ إلى تلك المجاميع وخلفياها:"بالإضافة إلى البعثيين، شعرنا بأن السفارتين كانتا مدركتين لوجود :

١. مجموعة مناصرة للهاشميين، تشمل شيوخ عشائر، وسياسيين من النظام القديم، وبعض ضباط الجيش الذين يفضلون إقامة روابط قوية بين الأردن والعراق.

٢. مجموعة من كبار الضبط، بعضهم في مواقع قيادية كانوا يخشون من أن قرارات قاسم ستجبر العراق شيئاً فشيئاً على الوصول إلى وضع يصبح فيه دولة تابعة للسوفيت..

٣. مجموعة مناهضة للشيوعيين تسعى وراء الإطاحة بقاسم، وإعادة إقامة علاقات أمتن مع البريطانيين والغرب ".

---

(٢٥) المصدر نفسه.

وتضيف الوثيقة أيضاً: "لقد أوعز السفير البريطاني إلى العاملين في السفارة أن لا يعملوا على بناء اتصالات مع مجاميع التخطيط"[٢٦].

بالطبع، لم توضح الوثيقة السرية السبب الحقيقي الكامن وراء إيعاز السفير البريطاني لمرؤوسيه في عدم الاتصال مع المتآمرين....مما يفتح شهية المحللين السياسيين، في استنتاجاهم:

أهي الأوامر الصادرة من لندن بإسناد المهمة إلى المخابرات البريطانية دون الاستعانة بالدبلوماسيين البريطانيين؟

أم أن لندن تجد نفسها عاجزة – لسبب أو أخر – عن القيام بمهمة الانقلاب على حكومة قاسم خير قيام؟.. فتركت الأمر لحليفتها واشنطن أن تنبري وحدها أو بالتنسيق معاً؟.

لقد أعترف جيمس كريتشفيلد (المسؤول عن نشاطات وعمليات المخابرات المركزية في الشرق الأوسط مطلع الستينات) بتورط الوكالة في انقلاب شباط ١٩٦٣، وهي التي لعبت الدور الأساسي والحاسم في عملية الإطاحة بعبدالكريم قاسم ونظامه، وتأمين نجاح انقلاب حزب البعث عليه. وهذا ما أكده المشتركون من الضباط العراقيين في الانقلاب ، وما صرّح به

---

(٢٦) المصدر نفسه.

علي صالح السعدي:"لقد وصلنا إلى السلطة على قطار وكالة المخـــابرات المركزية". فقد تضمن – كما يقول الباحثان اندرو – باتريك كوكبـــورن مساعدة وكالة المخابرات المركزية، وبصورة رسمية على التنسيق مع مخططي الانقلاب، عن طريق مركز الوكالة في سفارة الولايات المتحدة في بغداد . إضافة إلى محطة الراديو السرية في الكويت(٢٧).

البعث المتورط

وجاء الباحث الأمريكي وليام جي. زيمان ليثبت بالأدلـــة والوثـــائق السرية "أن حزب البعث تلقى دعماً مادياً من وكالة المخابرات المركزية قبل الانقلاب وبعده، وأن الوكالة قامت خلال فترات مختلفة ،من سنوات حكم قاسم الخمس بعمليات خفية أيضاً ضد العراق"(٢٨).

ولا غرابة إذن في أن يتلقى حـــزب البعـــث الـــدعم المـــادي مـــن الـــ(C.I.A.)، بل الغريب أن يكون العكس. لاسيما وأن العلاقـــة بـــين الطرفين عريقة و وثيقة تمتد إلى بدايات التأسيس لحزب البعـــث ،لتتنـــامى

---

(٢٧) ينظر: اندرو كوكبورن وباتريك كوكبورن، المصدر السابق، ص ١٣٧ وأيضاً : ومجدي كامل، المصدر السابق، ص ٣١٦.
(٢٨) وليام جي. زيمان، المصدر السابق، ص ٣.

بشكل مطرد بعد التأسيس، وقد ساهم في تمتين أواصر العلاقة أطراف وقوى وشخصيات.. وبالتأكيد يطول بنا المقام لو سمحنا لأنفسنا الخوض في غمار هذا الملف المهم.

خلاصة الأمر تقتضي إماطة اللثام عن أبرز الوجوه البعثية أو المقربة من البعث في مجال ترسيخ العلاقة مع وكالة المخابرات المركزية ، ويتصدر هؤلاء؛ ميشيل عفلق صاحب العلاقات المشبوهة مع أكثر من جهاز مخابرات غربية، وهذا ما حدا بالقيادي البعثي "فؤاد الركابي" أن يشق عصا الطاعة، ويعلن انشقاقه عن حزب عفلق في مطلع الستينات من القرن الماضي، وفضحه ارتباطات عفلق واتهامه بالجاسوسية، عبر مؤتمر صحفي عقده في بيروت، وقد تناقلت أجهزة الأعلام تصريحات الركابي تلك[٢٩] .

في أعقاب افتضاح علاقة ميشيل عفلق بالمخابرات الدولية، أوعز إلى صديقه الحميم "إيلي زغيب" تلك الشخصية التي يكتنفها الكثير من الغموض، حتى بات لغزاً محيراً في مسيرة حزب البعث ، وعلاقاته المريبة مع قادة البعث، وهذا ما تطرقنا إليه بشيء من التفصيل في كتابنا "نواطير الغرب" بطبعته الثانية وشيكة الصدور .

---

(٢٩) للتفصيل ينظر: حسن السعيد، نواطير الغرب، صفحات من ملف علاقة اللعبة الدولية مع البعث العراقي ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨، مؤسسة الوحدة للدراسات ، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص ٦٤، ١١١.

على صعيد البعث العراقي تبرز أسماء قيادية معروفة بصلاتها التاريخية بالمخابرات الأمريكية، وفي المقدمة؛ صالح مهدي عماش الذي جندته الوكالة عام ١٩٥٣ عندما كان يعمل معاوناً للملحق العسكري العراقي في واشنطن، وتوطدت تلك العلاقة بمرور الأيام،"وتشير الكثير من المصادر، التي تتهم صدام بالعمالة للأمريكان – اعتماداً على رأي لأحد قياديي البعث السابقين "هاني الفكيكي" في كتابه "أوكار الهزيمة – ص٥٠" – إلى الصلة التي ربطت بين صالح مهدي عماش (وزير الدفاع عام ١٩٦٣، ووزير الداخلية عام ١٩٦٨) والسفير الأمريكي في بيروت"[٣٠].

أما أكثر المصادر إثارة فهو السر – يصر الجميع على تسميته سراً حتى اليوم – الذي باح به الملك حسين إلى رئيس تحرير صحيفة "الأهرام" محمد حسنين هيكل في ٢٧ أيلول،١٩٦٣ والذي يقول فيه: "اسمح لي أن أقول لك أن ما جرى في العراق في ٨ شباط قد حظي بدعم الاستخبارات الأمريكية. ولا يعرف بعض الذين يحكمون بغداد اليوم هذا الأمر ، ولكني أعرف الحقيقة. لقد عقدت اجتماعات عديدة بين حزب البعث والاستخبارات الأمريكية، وعقد أهمها في الكويت".

---

(٣٠) سلام عبود، من يصنع الديكتاتور؟ صدامنموذجا ، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٨، ص ٧٢.

ويورد حنا بطاطو في كتابه "العراق" (ج٣ ص٣٠٠) نقلا عن "عضو في قيادة البعث العراقي ١٩٦٣ طلب عـدم ذكـر اسمـه" إن السـفارة اليوغسلافية في بيروت حذّرت قيادة البعث من "أن بعض البعثيين العراقيين يقيمون اتصالات خفية مع ممثلين للسلطة الأميركية".

وهناك من يجد أدلة أكثر مباشرة ودقة تؤكد ارتباط صدام الشخصي بجهاز الــ(.C.I.A). ومن هذه الأدلة، وهي مثبتة على لسان قياديين بعثيين عرب، ما يؤكد واقعة تجنيد صدام في جهاز المخابرات الأمريكية حينما كان لاجئاً في مصر[٣١].

بدايات ارتباط صدام

هذه الحقيقة يؤكدها دافيد هوكورت (ضابط المخابرات الأمريكيـة السابق) في مذكراته التي صدرت عقب غزو العراق ٢٠٠٣، وهو يعيد إلى الذاكرة وينعشها بأجواء التوتر التي سادت بين واشنطن وعبد الكريم قاسم مطلع ستينات القرن المنصرم، واختصرها مدير وكالة المخابرات المركزيـة الأمريكية (الآن فوستر دالاس) بقوله:"إن العراق هـو أخطـر بـؤرة في

---

(٣١) المصدر نفسه.

العالم!.." يقول كورت:"وهنا ظهر اسم صدام حسين في ملفات المخابرات المركزية، باعتباره معارضاً لحكومة عبد الكريم قاسم، ولديه استعداد لاستخدام القوة والعنف للوصول إلى أهدافه، لذلك تم اختيار صدام للوصول إلى أهدافه، ليكون رجل أمريكا في العراق، لمواجهة تهديد نشر صواريخ سوفيتية في العراق، أو لضمان استمرار تدفق البترول الخليجي إلى أمريكا وحلفائها الغربيين."

ويوضح كورت: "بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس الوزراء العراقي عبدالكريم قاسم، فرَّ صدام حسين إلى مصر، حيث التقطته المخابرات الأمريكية"(٣٢) مطلع عام ١٩٦٠، وهناك تمّ ارتباطه بالمخابرات المركزية الأمريكية،كما كشف عن ذلك وزير الدفاع السوري العماد مصطفى طلاس بقوله :"جمال عبد الناصر كان أول من كشف صدام وارتباطه بالمخابرات الأمريكية عندما كان طالباً فاشلاً في كلية الحقوق بجامعة القاهرة"،... ويستطرد طلاس:"لقد قالها لي عبد الناصر في داره بمنشية البكري في شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٧٠"(٣٣).

---

(٣٢) مجدي كامل، المصدر السابق، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٣٣) جريدة تشرين الدمشقية، ١٩٨٨/٣/٧ (نقلاً عن كتاب نواطير الغرب، المصدر السابق، ص٣٥٣).

كما أن أرشيف الإدارة العامة لمباحث أمن الدولة المصرية يضم كتاباً "سرياً جداً" وتحت رقم (١٦٨٢٩/د) والمؤرخ بتاريخ ١٩٦١/٦/١٩ وهو مرسل إلى المدير العام لشؤون اللاجئين السياسيين، ومما جاء فيه :"أثناء مراقبة المستر (وليم) نائب القنصل الأمريكي تكررت عدة تقارير عن لقاءاته باللاجئ السياسي العراقي صدام حسين وشوهدا معا في مقهى (تريامف) بمصر الجديدة، وكازينو الهرم السياحي"[٣٤].

وسواء كان صدام عميلاً بالأدلة أو أنه وصل إلى ما وصل إليه بنزاهة من تهمة العمالة، فأنه قدم للأمريكان مالم تحلم بتقديمه كتيبة كاملة من العملاء. فقد كان صدام وفياً إلى درجة لا يمكن وصف حدودها للمشروع الأمريكي، الذي ظل يقاومه علناً، ويحفر سراً بإرادته أو من دون إرادته، من أجل أن يغدو محققاً على الأرض، كما يقول سلام عبود[٣٥].

وبينما كانت الاتصالات السرية تتلاحق بين الوكالة المركزية وحزب البعث العراقي، تمضي الوكالة بعيداً في نشاطاتها الخفية، وإلى الحد الذي يتجاوز فيه عملاؤها السياقات الدبلوماسية المعهودة والصلاحيات الممنوحة لهم، مما أثار حفيظة رئيس الدبلوماسية الأمريكية في بغداد، الذي استشاط

---

(٣٤) جريدة الجهاد، صوت الحركة الإسلامية في العراق، طهران، العدد ١٢٤، ١٩٨٤/٢/١٣، مقال (صدام تحت المجهر).
(٣٥) سلام عبود، المصدر السابق،ص ٧٨.

غضباً حيال ممارسات رجال الــ(C.I.A.) في بغداد، ولم يقتصر الأمر على ليكلاند وحده، بل يشاطره العديد من الدبلوماسيين التقليديين العاملين في السفارة، الذي تعد عمليات الوكالة السرية بالنسبة لهم "مستهجنة مستخبثة بالكامل"، وكان هؤلاء الدبلوماسيون دائما ما يثير حنقهم وجوب وجود رجال الــ(C.I.A.) . والدبلوماسيون الذين لديهم باع طويــل في هــذا الميدان ، مثل بيل لكيلاند ، كانوا يعادون بعمق وكالــة الـــــ(C.I.A.)، وكان هذا الدبلوماسي دائم الامتعاض من اضطراره أن يكون مسؤول آرت كالاغهان (رئيس الــ(C.I.A.) في العراق) وجميع موظفي الــ(C.I.A.) الآخرين العاملين في القسم السياسي في السفارة في بغداد(٣٦) .

إن هذا الغضب المكتوم من تجاوزات ضباط الــ(C.I.A.) لم يقتصر على العاملين في السلك الدبلوماسي، بــل يتعــداه إلى ضــباط الملحقيــة العسكرية في بغداد. وقد كشف عن هذه الحقيقــة التاريخيــة الباحــث الأمريكي "زيمان"، في مقابلة له كشف فيها مصادره العلمية والاســتخبارية في توثيق جهده الأكاديمي الأول من نوعه ..وحين سُئِل عن طبيعة العلاقــة بين الــ(C.I.A.) والجيش الأمريكي ووزارة الخارجية في ذلك الوقت (أي عام ١٩٦٣).. أوردنا قبل قليل شهادته عن العلاقة بين الوكالة المركزيــة

---

(٣٦) وليام جي . زيمان، المصدر السابق، ص٤٢.

والخارجية، أما عن العلاقة مع الجيش فيجيب بما نصه :"الجيش لا يشــرف على الــ(.C.I.A) لكنه مجبر على مساعدقما. وهناك دائماً عدد محدود من كبار الضباط العسكريين الــذين أُشــركوا في نشــاط مــن نشــاطات الــ(.C.I.A) من أجل الارتباط مع الجيش، كما حــدث عنــدما أرادت الــ(.C.I.A) أن ترسل أسلحة لحزب البعث بعد انقلاب عــام ١٩٦٣. وعندما أريد أن أعرف أمراً ما، يتوجب علي النظر في أوراق الــ(.C.I.A) وليس وثائق الجيش. ولكي تعرفوا كيف تسير كل هذه الأمور، يمكــنكم قراءة كتابين لفليتشير بروتي الذي كــان ضــابط ارتبــاط في الجــيش. فالــ(.C.I.A) يمكنها أن ترسل قائمة تسوق إلى الجيش ، تقول فيها مثلاً : أعطونا خمسة عشر دبابة، وخمسة عشر مدفع مضاد للدبابات، وخمسة عشر طائرة إضافية، ونحتاج أن تشحن إلى بغداد في نيسان. وكان بروتي يملــك صلاحية الطلب رسمياً بتجهيز هذه المعدات من الجيش، والشخص الآخــر الوحيد الذي سيعرف المكان الذي ستذهب إليه هذه الأسلحة هو الطيــار الذي سينقلها جواً إلى العراق. ولهذا كان من الصعب جداً بالنســبة لي أن اثبت أن الــ(.C.I.A) جهزت حزب البعث بأسلحة بعــد الانقــلاب . أعرف كاتبين أجريا مقابلات مع بعثيين وعملاء في الــ(.C.I.A)كاتبان لم يجمع بينهما أي شيء، أكدا أن الــ(.C.I.A) جهّزت البعثيين بأســلحة.

ذلك دليلٌ قوي بما يكفي، لكنني كمؤرخ أريد أن أضع يديّ على الوثـائق التي تعود لرجال مثل برووني"[٣٧] .

على الرغم من أن الفرقاء الأمريكان الثلاث (السـفارة، الملحقيـة العسكرية، وكالة المخابرات) أبدوا حرصاً شديداً، وبمنتهى السريّة الفائقة، على عدم إظهار أي نوع من الندية فيما بينهم، مع التظاهر الصارم بـأنهم جميعاً فريق منسجم ولا تعتور انسجامهم أيّة شائبة تُذكر.. غـير أن هـذا الانسجام لم ينطل على عبد الكريم قاسم الذي انفرد بتشخيص الأمر على حقيقته، وقرأ مابين السطور في الموقف .

يقول "زيمان":"وتبدت مقدرة قاسم في إصدار الحكم الصائب علـى الشخصيات ،عندما أقر بأن غولمان (السفير الأمريكي في بغداد) لا يعـرف شيئاً عن نشاطات الوكالة المركزية. فلو كانت هنالك عمليـات تنفـذها وكالة المخابرات المركزية في العراق لما عرف بها غولمان، نظـراً لمسـتوى السرية العالي في الوكالة، الذي كثيراً ما كان يبقي حتى وزارة الخارجية في الظلام جاهلة بما يجري، لذا كان غولمان شاهداً مقنعاً، وهذا على الأرجـح

---

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٤٣.

هو السبب في قول قاسم "إن الأمريكيين كانوا ينشطون بصورة شخصية" [٣٨].

ولم يكن من الصعب الاستنتاج بأن الخطوط الأمريكية العاملة في المجالات الثلاثة آنفة الذكر، تلتقي في الهدف الكبير (الاستراتيجي) رغم اجتهادها في التكتيك، ولما كانت الإطاحة بحكومة عبد الكريم قاسم هدفاً استراتيجياً فقد توزّعت الأدوار لكل الفرقاء لتحقيق هذا الهدف ، مهما كان التباين في الاجتهادات الشخصية. وهذا ما أكده ستيفن أو.فاكو (الموظف في مكتب الشؤون الأمنية الدولية في وزارة الدفاع الأمريكية) في مذكرته التي أرسلها إلى مساعد وكيل وزارة الدفاع الأمريكية للشؤون الأمنية الدولية (سولان) في الثامن من شباط ١٩٦٣، أكد فيها أن عناصر بعثية من القوات المسلحة قد نفّذت انقلاباً في العراق[٣٩]. وقد أُعلن في بغداد عن تأسيس مجلس وطني لقيادة البلاد، وأن معظم أعضاء المجلس تم التعرف عليهم كونهم في حزب البعث، وقد أُعلنت أهدافهم في بيان أُذيع من إذاعة بغداد.. واختتم فوكوا مذكرته بأن المسؤولين في وزارة الدفاع والمخابرات الأمريكية قد اتفقوا إذا نجح الانقلاب فستشهد العلاقات بين واشنطن وبغداد تحسناً كبيراً، فضلاً عن

---

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٣٠ (بشيء يسيرجداً من التصرف).
(٣٩) د. سنان صادق الزيدي، المصدر السابق، ص٢٥.

تحسّن الوضع الداخلي في العراق[٤٠]. وفي مذكرة للدبلوماسي الأمريكي روبرت كومر المساعد الخاص للرئيس لشؤون الأمن القومي الأمريكي بعثها للرئيس جون كيندي في نفس اليوم (٨ شباط)، أكدّ فيها بأن الانقلاب في العراق سيكون بالكامل لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، واختتم مذكرته بالقول: "إن جمال عبد الناصر يحاول أن يحتضن الحكومة العراقية الجديدة، ولكننا نعتقد انه سيفشل لأنه يصارع الريح"، وطمأن كومر الرئيس كيندي بقوله:"إننا واثقون من أن القائمين بالانقلاب يجلسون على السرج "[٤١].

وليس بوسع أي مراقب إلا أن يستبد به العجب، لما تتضمنه المذكرتان من إطمئنان كامل ولغة واثقة حول؛ تحسن العلاقات بين بغداد وواشنطن في ظل الانقلاب الجديد، وأنه سيكون بالكامل لصالح أمريكا، وإخفاق عبد الناصر في الرهان على الانقلابين، وجلوسهم على السرج..!!، كل ذلك والانقلاب ما يزال في ساعاته الأولى! فمن أين جاء هذا الاطمئنان؟ وعلى أي أساس يقوم ؟.

---

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٦.
(٤١) المصدر نفسه.

هذه التساؤلات المثيرة تقودنا – بالضرورة – إلى المديات البعيدة التي تتجاوز حدث الانقلاب المشبوه، إلى حيث أجواء اللعبة الكبرى التي راهنت على حزب البعث باعتباره فـــرس الرهـــان الوحيـــد في تنفيـــذ نفوذهـــا الاستعماري ، على يد عناصر ارتضت لنفسها هذا الدور!.

البعث،الخيار المطلوب

ونعود ونتساءل مرة ثانية:كيف غدا البعث حصراً هو الخيار الوحيد للمخطط الأمريكي في العراق يومئذ؟!

من هذا التساؤل يجيبنا "زيمان " قائلاً:"بعد أسابيع من التحرك العراقي ضد شركة النفط العراقية..ذكر تقرير سري بأنهم لم يتمكنوا من " تحديد أي أفراد أو مجاميع بعينها، يُحتَمل أن تُحدِث انقلاباً ناجحاً"، ولكن في آيـــار (مايس)١٩٦٢ كان حزب البعث المجموعة الوحيدة الـــتي ناقشـــت وزارة الخارجية الأمريكية احتمالية قدرته على الإطاحة بقاسم فأوصوا بالاعتراف (بالحكومة الجديدة) حال "فرض المجموعة هذه سيطرتها الكاملة بالفعل"[٤٢].

---

(٤٢) وليام جي . زيمان، المصدر السابق، ص ٥٥.

أما لماذا كان البعث وحده فرس الرهان دون غيره..فهذا ما أفصح عنه الباحث زيمان بقوله : "إن المسؤولين الأمريكيين اختاروا حـــزب البعـــث ليكون الأمل الوحيد للظهور في العراق كحكومة كانت صديقة للولايات المتحدة..كان يُنظر إليه على أنه حزب الخيـــار الثالـــث: لا ناصـــري ولا شيوعي" [٤٣].

بهذا يكون واضحاً أن واشنطن كانت تبحث عن (أصدقاء) يحققون لها ما تصبو إليه من مصالح ونفوذ، وليس هناك في العراق من يتصـــدى لهـــذا الهدف سوى حزب البعث.. فهو الخيار الوحيد لأسباب يعرفها الراسخون في خفايا الكواليس!، وقد أثبتت الأيام بوقائعها المريـــرة مـــدى (فراســـة الوكالة المركزية وبعد نظرها، حينما راهنت على حزب البعـــث باعتبـــاره أفضل خيار يحقق لها مآربها، وبشكل يفوق تصوراتها، فليس مهماً – بالنسبة لواشنطن – من يحكم .. بقدر ما يهمها مدى تجاوب الحاكم مع مصـــالحها ورضوخه إلى سياستها، والتزامه بتنفيذ أوامرها وتعهده بتدفق النفط وضبط سعره.

---

(٤٣) المصدر نفسه،ص٤٤.

وليس صعباً على عصابة كالبعث معروفة بنزعتها الساديّة التي لا يشك بها أحد، بمن فيهم بعض القياديين خلال مذكراتهم أو لقـــاءاتهم التلفازيـــة، والسجل معروف في ارتكاب المذابح وانتهاك الحرمات بل وخيانة حتى مـــا اعتبرته مبادئ ثابتة لها، وأقرتها في أدبياتها طالما تلبي لها الخيانة الوصـــول إلى السلطة، وتحقيق المآرب الشخصية، والتنفيس عن عقدها المستحكمة!، وهو ما حصل بالفعل حينما أدخل البعثيون البلاد في دوامة ما يزال العراق يدفع فاتورة حساب صفقة الخيانة، ويئن تحت وطأتها الثقيلة منذ شـــباط ١٩٦٣ وحتى يومنا هذا !!.

● انقلاب المخابرات الدولية

الدنيا ليل.. والبدر في اكتماله، وقد خلد الناس إلى النوم متأخرين بعد إحياء ليلة الجمعة الثانية من شهر رمضان، كل حسب شاكلته.. كان ذلك في الرابع عشر من رمضان ١٣٨٣ هـ/ الموافق للثامن من شباط ١٩٦٣ .

وفيما كانت بغداد تغفو بنوم عميق، ثمة أمرٍ دبّر بليل لينبلج الصبح عن تحرك مثير وغامض.. ولم تمضِ إلا سويعاتٍ من النهار حتى كان العراقيون على موعدٍ مع عاصفةٍ هزّت الأغلبية منهم هزاً عنيفاً من الأعماق فهرعوا إلى أجهزة المذياع، وهم يصيخون بسمعهم إلى صوتٍ أجش يعيد قراءة بيانات إنقلاب عسكري لم تتضح معالمه، ولم يفصح القائمون عليه عن أسمائهم وهوياتهم .

في غضون ذلك.. كان القلق يستبد بالناس، وتتصاعد وتائر الخوف من المجهول، لاسيما وأن الأنباء تضاربت حول مصير (الزعيم) عبد الكريم قاسم

الذي كان يحظى بشعبية طاغية بين الناس، لما أتسم به من نزاهة وشجاعة وإخلاص وحب الوطن وخدمته لمواطنيه. فمن قائل؛ إنه قُتل كما تشير بيانات الانقلاب(١). ومن قائل إنه في وزارة الدفاع يدير عملياته ضد المتآمرين مع ثلة من مريديه(٢). ومن قائل إنه يسيطر على الموقف وما يزال يمسك بزمام الأمور، كما ذهب الشيوعيون في بيانهم الثاني(٣).

---

(١) للاطلاع على النصوص الكاملة لبيانات الانقلاب، ينظر: د. جعفر عباس حميدي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨، ج٦، ط٢، بغداد، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م ، ص ٦ ومابعدها.

(٢) كان هذا لسان حال الشارع المؤيد للزعيم عبد الكريم قاسم.

(٣) في الساعات الأولى للانقلاب، أصدر حسين الرضي (السكرتير الأول للحزب الشيوعي العراقي) بيانين اتسمتا بلهجة قاسية وشديدة الانفعال، حسب حنا بطاطو، وجاء في البيان الأول: "إلى السلاح! اسحقوا المؤامرة الرجعية الامبريالية!" .. وبعد مخاطبة المواطنين وكل الوطنيين ذكر البيان: "قامت عصابة حقيرة من الضباط الرجعيين والمتآمرين بمحاولة يائسة للاستيلاء على السلطة استعداداً لإعادة بلدنا إلى قبضة الامبريالية والرجعية.. إلى الأمام ! إلى الشوارع ! اسحقوا المؤامرة والمتآمرين" ما يلفت الانتباه: لم يرد أي ذكر للزعيم عبد الكريم قاسم في البيان الأول للحزب الشيوعي، نظراً للمشاعر التي نمت ضده داخل الحزب، والتي كان عبد القادر إسماعيل قد عبر عنها قبل أسابيع قليلة فقط أمام اجتماع اللجنة المركزية إذ تساءل: " حتى متى سنستمر في حمل هذا الرجل على أكتافنا؟".

أما في البيان الشيوعي الثاني فقد جاء فيه: "شعبنا العظيم ! لقد حوصر الخونة المتآمرون في أبو غريب.. إن الزعيم عبد الكريم والعبدي والمهداوي وبقية الضباط المدافعين عن استقلالنا الوطني يمسكون الآن بقوة بقيادة الجيش".

ينظر: حنا بطاطو، العراق ؛ الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية، الكتاب الثالث.. الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، ترجمة عفيف الرزاز، منشورات دار القبس، الكويت، الطبعة العربية الثالثة، ٢٠٠٣ ، ص ٢٩٢ ـ ١٩٣.

ما بين اليأس والرجاء هبت جموع مناصريه دفاعاً عنه وعن مكتسبات حكمه القصير، واختلطت صيحات الاستنكار بلعلعة رصاص المتآمرين الذين لم يتوانوا عن سحق مؤيديه بلا رحمة.. وحدهم كان المرحبون من (طائفيين وإقطاعيين وفلول النظام الملكي) قد هللوا للانقلاب!، وتسارعت الأحداث.. لتميل كفة الانقلابيين لأنها كانت الأقوى، لما حظيت به من دعم إقليمي وخارجي، كما أفصحت عدة وثائق و وقائع وشهادات شخصية لفاعلين سياسيين ومسؤولين ممن كانوا على تماس مع الشأن السياسي الداخلي في العراق.

بعد مرور أربعين عاماً من الصمت، كشف مسؤول كبير في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ(C.I.A.) إن المخابرات الأمريكية هي التي لعبت الدور الرئيسي في تنظيم وإعداد عملية الانقلاب التي قام بها حزب البعث ضد عبدالكريم قاسم عام ١٩٦٣، وأدّت إلى الإطاحة به وبنظامه والى بدء حكم حزب البعث، والسبب الرئيسي آنذاك كان الكويت".

هذا السر المهم كشفه "جيمس كريتشفيلد" المسؤول عن نشاطات وعمليات المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط، مطلع الستينيات من القرن الماضي، فقد أكدّ كريتشفيلد أن المخابرات الأمريكية هي التي لعبت الدور الأساسي والحاسم في عملية الإطاحة بعبد الكريم قاسم ونظامه،

وتأمين نجاح انقلاب حزب البعث عليه في ٨ شباط ١٩٦٣، لأن قاسم كان ينوي استعادة الكويت وضمها إلى العراق، وهو يسعى إلى تحقيق ذلك عام ١٩٦١، ولأن قاسم اتخذ أيضاً قرارات وإجراءات سياسية ونفطية متعارضة مع المصالح والتوجهات الأمريكية .

وأوضح كريتشفيلد أن عناصر المخابرات الأمريكية تولت آنذاك تنظيم وتنسيق نشاطات وتحركات الانقلابيين البعثيين انطلاقاً من مقر السفارة الأمريكية في بغداد ، وتأمين نجاح هذا الانقلاب الذي شكل في رأيه "ضربة معلم" للمخابرات الأمريكية و"انتصاراً كبيراً لها[٤] إن لم يكن أعظم انتصار لنا[٥].

في البدء..كانت الأكاذيب

وفي الوقت الذي كان فيه مسؤولو وكالة المخابرات المركزية يتبادلون أنخاب الانتصار، لنجاح مهمتهم في القضاء على من أعتبره خصومه قبل مؤيديه، أنزه زعيم سياسي في تاريخ العراق الحديث. كانت إذاعة

---

(٤) مجدي كامل، المصدر السابق، ص ٣١٦، (بشيء يسير جداً من التصرف).
(٥) اندرو باتريك كوكبورن، المصدر السابق، ص ١٣٦.

الانقلابيين تواصل شتائمها للزعيم عبدالكريم قاسم واصفه إياّه بـ(عدو الله والشعب) و(الطاغية) و(الخائن المجرم الخداع) و(الشعوبي) ...الخ

فبعد إتمام السيطرة على مرسلات البث الإذاعي في أبي غريب ،أذيع البيان الأول للانقلاب في الساعة التاسعة واثنين وعشرين دقيقة ومما جاء فيه: "لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهترة التي سخرت موارد البلد لتطمين شهواتها وتأمين مصالحها فصادرت الحريات، وداست الكرامات، وخانت الأمانة، وعطلت القوانين واضطهدت المواطنين"[٦]!!.

وبعد إنشاء تكراري وفضفاض على حد تعبير بطاطو[٧] مضى البيان:"إن المجلس الوطني لقيادة الثورة يعمل على إقامة حكومة وطنية من المخلصين من أبناء الشعب ومن المخلصين من أبناء هذا الوطن وستكون سياسية حكومة الثورة وفقاً لأهداف ثورة تموز المجيدة. لذا فإن الحكومة ستعمل على إطلاق الحريات الديمقراطية وتعزيز مبدأ سيادة القانون وتحقيق وحدة الشعب الوطنية بما يتطلب لها من تعزيز الأخوة العربية الكردية، بما يضمن مصالحها القومية ويقوى نضالهما المشترك ضد الاستعمار واحترام

---

(٦) د. جعفر عباس حميدي، المصدر السابق، ٦ : ٦ ـ ٧.
(٧) حنا بطاطو، المصدر السابق، ٣: ٢٩٠.

حقوق الأقليات وتمكينها من المساهمة في الحياة الوطنية ،كما إنها تتمسك بمبدأ الأمم المتحدة والالتزام بالعهود والمواثيق الدولية والمساهمة في تدعيم السلام العالمي ومكافحة الاستعمار بانتهاج سياسة عدم الانحياز والالتزام بمقررات مؤتمر باندونغ وتشجيع الحركات الوطنية المعادية للاستعمار وتأييدها. كما أن قيادة الثورة تعاهد الشعب على العمل نحو استكمال الوحدة العربية والعمل على تحقيق وحدة الكفاح العربي ضد الاستعمار والأوضاع الاستعمارية في الوطن العربي والعمل على استرجاع فلسطين المحتلة وستحافظ على المكتسبات التقدمية للجماهير وفي مقدمتها قانون الإصلاح الزراعي وتطويره لمصلحة الشعب وإقامة اقتصاد وطني يهدف إلى تصنيع البلد و زيادة إمكانياته المادية والثقافية كما سيؤمن تدفق البترول إلى الخارج(٨).

ومن الضروري أن نقف إزاء بعض ما ورد في البيان الأول لزعماء الانقلاب الذين أسموا أنفسهم (المجلس الوطني لقيادة الثورة) لنتبين ما يمكن أن يفصح عنه الخطاب من نوايا تكمن خلف الحماس اللغوي والهياج الثوري والشحن العاطفي.

---

(٨) د. جعفر عباس حميدي، المصدر السابق، ٦: ٦ ـ ٧.

أولاً : افتتح الزعماء الجدد بيانهم، وهم يخاطبون الشعب العراقي، بقولهم: "لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهترة.."، فهذا كذب صريح، فلم يتم بعد القضاء على قاسم ولم يكن بحوزة الانقلابيين ساعة إذاعة البيان سوى مرسلات البث الإذاعي في أبي غريب، وبضعه جيوب عسكرية هنا وهناك. هذا أولاً، وثانيا؛ حينما تمكنوا من عبد الكريم قاسم لاحقاً لم يكن الأمر قد تم (بعون الله) بل بعون وكالة المخابرات المركزية، ودعم العواصم الإقليمية الموتورة في النظام العراقي، لكونه نظاماً وطنياً وغير طائفي ولم يرضخ لإبتزازاتهم.

ثالثاً؛ لم يكن عبد الكريم قاسم يوماً ما عدواً للشعب أبداً، بل كان بحق (ابن الشعب البار) الذي يسهر على خدمته، ويحرص على تفقد فقرائه، وعدم التفريط بثرواته، وتعزيز قدراته التنموية في شتى المجالات، "واليوم يعترف غير قليل من أولئك الذين وقفوا ضده في تلك الساعة بان عامة الشعب كانت تكن حبا مخلصا يفوق حبها لأي حاكم أخر في تاريخ العراق الحديث"، كما يقول حنا بطاطو(٩).

أما الحديث عن زمرته (المستهترة) فهبْ أن بطانته ضمت – كما هم كل الزعماء في الدنيا – بعض المستهترين.. ولكن؛ هل بلغ استهتار هذا

---

(٩) حنا بطاطو ، المصدر السابق، ٣: ٢٩٦.

البعض من بطانة الزعيم عُشر معشار استهتار قادة زمرة البعث الحاكمة وحرسها القومي..؟!.

ثم ما هي موارد البلد التي سخرها قاسم وزمرته لتطمين شهواتهم وتأمين مصالحهم..؟!.

لقد مضى عبد الكريم الذي أسموه بعدو الكريم إلى ربه الكريم وهو صائم، ورصيده في مصرف الرافدين دينار ومائتا فلس فقط لا غير، وفي وثيقة رسمية (إثبات ملكية) صادرة من مديرية التركات والمواريث العراقي، تبين فيه مجموع ما ترك الزعيم لورثته ١٦دينار وأربعمائة فلس فقط!![١٠].

فضلا عن إنه لم يكن يملك عقاراً، ولا أرصدة بمليارات الدولارات في البنوك السويسرية أو غيرها.. كما هو ديدن الحكام الذين تعاقبوا على السلطة بعده، وقد اعترف أحد الضباط الذين سيطروا على جناح عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع، "بأنه لدى تفحص أوراق قاسم، بعد الاستيلاء على مكتبه اكتشف إنه كان يوزع راتبه بانتظام على بعض الأسر المحتاجة في بغداد"[١١].

---

(١٠) نشر أصل الوثيقة ، أول مرة ، حسب علمنا، في مجلة ١٤ تموز، العدد الأول، تموز ٢٠١١، ص٤٢، وللاطلاع على الوثيقة تنظر في الملاحق نهاية الكتاب ص٢٠٢.

(١١) حنا بطاطو، المصدر السابق، ٣ : ٢٩٦.

أما الدار التي كان يسكنها فقد استأجرها بمبلغ ١٥ ديناراً من مديرية الأموال المجمدة لليهود، منذ أوائل الخمسينات، ولم يغيرها حتى وفاته ، وهي دار قديمة بسيطة يسكن في مثيلاتها ذوو الدخل المحدود، من الطبقة دون الوسط، وقد وضعت خطة ثورة ١٤ تموز فيها[١٢] ناهيك عن أنه كان يكتفي بالنزر اليسير من النثرية المخصصة لرئاسة الوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة!، وما يزال الكثير من الذين عاصروا الزعيم يتداولون حكاية (السفرطاس) الذي يُجلب من بيته ظهر كل يوم!.

ولما كان حبل الكذب قصيراً فقد نسي الأنقلابيون؛ وبعد عشرة أيام فقط من انقلابهم، السطور الأولى من بيانهم الأول الذي اتهموا فيه عبد الكريم قاسم بتسخير موارد البلد لشهواته ومصالحه، ففي اجتماع المجلس الوطني في العشرين من شباط طرح مشروع قرار يقضي بترفيع العقيد عبد السلام محمد عارف إلى رتبة مشير ركن، وترفيع العقيد أحمد حسن البكر والمقدم صالح مهدي عماش إلى رتبة فريق، وصرف الرواتب المستحقة لعبد السلام عارف كنائب قائد عام للقوات المسلحة، من يوم إعفائه في الحادي عشر من أيلول ١٩٥٨ ، اعترض عبد الستار عبد اللطيف بشدة واحتدم النقاش، وهدد عماش بالاستقالة ، وأيد أحمد حسن البكر مشروع القرار،

---

(١٢) إسماعيل العارف، أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، لندن،١٩٨٦،ص٤١٤.

فتمت الموافقة علية، وبقي عبد الستار عبد اللطيف المعارض الوحيد، وظهر فيما بعد أن مشروع القرار أعده المستفيدون الثلاثة منه (عارف وعماش والبكر) قبل يوم طرحه على المجلس(١٣).

ومما يلفت النظر أن المجلس الوطني تمتع بصلاحيات واسعة، وتركزت السلطة بين يديه. فكان منذ اليوم الأول لقيام الانقلاب أعلى سلطة في البلاد، ويمارس جميع الصلاحيات، أما أسماء أعضاء المجلس فقد بقيت طي الكتمان، ولم تعلن إلى الرأي العام، حتى أن أجهزة السلطة أو دوائرها لم تكن تعرف بعضاً منهم. ويذكر سكرتير المجلس أنور عبد القادر الحديثي إن وزارة المالية التي تدفع رواتب أعضاء المجلس (ما يعادل الألف دولار يومئذ لكل منهم) كانت تجهل أسماء أعضائه. فكان عليه أن يتسلم جميع رواتب الأعضاء ويسلمها إليهم شخصياً(١٤).

كما يلفت الانتباه أن نسبة العسكريين في المجلس الوطني هي الساحقة، فمن مجموع أعضائه الأربعة عشر فان ثلاثة فقط كانوا من المدنيين ، وهم أعضاء القيادة القطرية (علي صالح السعدي، حازم جواد، طالب شبيب) كما إن معظم هؤلاء العسكريين كانوا من الضباط البعثيين الذين انتموا إلى

---

(١٣) د. جعفر عباس حميدي، المصدر السابق، ٦: ١٧ـ١٨.
(١٤) المصدر نفسه.

صفوف البعث حديثا، عدا صالح مهدي عماش، و منذر الونداوي، أما عبد السلام عارف فلم يكن منتميا للحزب[١٥] ولكنه كـــان متعاطفـــا معـــه، وتربطهما علاقات حميمة.

إذن كانت السلطة منحصرة بيد حزب البعث تحديداً، وهذا خلاف ما أعلنه الأنقلابيون في بيانهم الأول: (إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب..! والجيش من اجل مواصلة المسيرة الظافرة لثورة تموز المجيدة (التي أجهـــزوا بكل الحقد الموروث) لابد لها من انجاز هدفين:

الأول: تحقيق وحدة الشعب الوطنية..(كذا) والثاني تحقيق المشـــاركة الجماهيرية في توجيه الحكم وأدواته(...!) ولابد من انجاز هذين الهدفين من إطلاق الحريات، وتعزيز مبدأ سيادة القانون[١٦].

ووفق مقولة "يكاد المريب يقول خذوني"، فإن الانقلابيين في حقيقـــة دوافعهم لم يؤمنوا قط بأي من الشعارات التي رفعوها، لأنهم متيقنـــون أن الناس لم تصدق بهم، فراحوا يؤكدون:"إن قيادة الثورة المتمثلـــة بـــالمجلس الوطني.. إذ تؤمن بهذا وتعمل على تحقيقه، تؤمن كذلك بما يزخر فيه هـــذا الشعب من روح وطنية وثابة.. لذا فنحن نأمل أن يترفع المواطنون في هذا

---

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٦.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٦.

اليوم المبارك عن الضغائن والأحقاد، وأن يعملوا جميعاً على ترسيخ وحدهم الوطنية، وتقوية التفافهم حول أهداف ثورة ١٦ تموز المجيدة، وان لايدعوا منفذاً لعميل، أو مفسد، أو مأجور يسعى فيه بالتفرقة"[١٧].

وهكذا ينسى الكذاب نفسه، ويدينها في الوقت نفسه، فطيلة حكمهم لم يطلقوا حرية، ولم يعززوا سيادة للقانون، إنْ لم يكن العكس تماما.

وسرعان ما يتناسى الانقلابيون كلامهم الذي قالوه ووعدوا الناس به قبيل سطور، من دعوهم المواطنين إلى الترفع عن الضغائن والأحقاد.. ليوزعوا اهاماهم للآخرين ما بين (عميل، ومفسد، ومأجور) وهي التي لاتليق إلا بهم.

فبعد ساعات من بياهم هذا مارسوا كل أنواع الخداع ولم يترفعوا هم أنفسهم عن الأحقاد والضغائن.. وسرد وقائع التحقيق (الذي أسموه محاكمة!) مع عبد الكريم قاسم وما تبقى من أعوانه.. تكشف لنا مدى خلو الانقلابيين من أية فضيلة تذكر، وقد ركلوا بأحذيتهم الثقيلة كل ما أعلنوه ووعدوا الناس به.

---

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٦ ـ ٧.

واترك للقارئ الحكم على بقية ما جاء في ثنايا بيان الانقلاب الأول، الذي تنصلوا عن كل ما ورد فيها، ما عدا الفقرة الأخيرة الخاصة بتأمين تدفق البترول إلى الخارج.. وهي المسألة الأولى والأهم في صفقة الانقلابيين مع وكالة المخابرات المركزية التي أوصلتهم إلى سدة الحكم.

أغرب محاكمات التاريخ

كانت خطيئة عبد الكريم قاسم الكبرى انه حينما سمع نبأ الانقلاب من الإذاعة، توجه على الفور إلى مكتبة في وزارة الدفاع لإدارة دفة المواجهة مع الانقلابيين، وكان هذا القرار بمثابة شرك وقع فيه، وكان الأجدر به أن يتوجه إلى القطعات العسكرية التي تدين بالولاء له، وهي جيدة التجهيز، لينقضّ على مواقع المتمردين،غير أن نصيحة تقدم بها العقيد طه الشيخ أحمد الامتناع عن ذلك جعلته ينصرف عن التوجه إلى معسكر الرشيد . والخطيئة الثانية إنه رفض حتى النهاية تسليح مؤيديه، وقد طالبوه بذلك منذ الساعة الأولى للانقلاب، بيد أنه لم يستجب لمطالبهم الملحة. وأغلب الظن أنه لم يقدم على الخطوتين خشية إراقة الدماء(١٨)، وكان يأمل أنه سيقضي على

---

(١٨) يقول إسماعيل العارف : "سألت المقدم قاسم الجنابي عن السبب الذي أدّى إلى إحجام عبد الكريم قاسم عن توزيع السلاح إلى الجماهير المحتشدة أمام وزارة الدفاع، قال : رفض الزعيم عبد الكريم قاسم قائلاً :"لا أريد أن أجعلها حرباً أهلية"، وقد قرر

المتمردين دون اللجوء إلى الاستعانة بالقوات العسكرية الموالية له، وتسليح المناصرين "ليدفع بالتالي ضريبة ذلك ليس دمه ودماء معاونيه وحسب بل شلالات من دماء آلاف العراقيين".

لقد فتحت بوابات الجحيم أمام العراقيين .. وسفكت دماء غزيرة، وولغ الأنقلابيون بشكل مدهش في الجريمة، وأوغلو فيها بأساليب بوهيمية عسيرة الفهم على العقل البشري.

حاول الشيوعيون ومعهم قطاعات لايُستهان بها من مؤيدي عبد الكريم قاسم الوقوف بوجه العاصفة.. إلا أن الرياح العاتية كانت تجري بما لاتشتهي السفن!.

وما كاد البيان يُطلق حتى بدأ الآلاف من (الشرقاوية)[١٩] يتحركون باتجاه وزارة الدفاع، وسُدّت الشوارع الرئيسة المنطلقة من مدينة الثورة وأكواخ الطين شرق نهر دجلة بطوفان بشري. وبعد حوالي الساعة كان لدبابات الكتيبة الرابعة أن تحتل الجسر وتضبط تدفق الناس الذي كان

الاستسلام بعد أن تردّى الموقف ، وعلى أثر الوعد الذي نقله إليه يونس الطائي (صاحب جريدة الثورة) من الانقلابيين في أنه إذا استسلم فسوف يسمح له بالسفر إلى خارج العراق" ـ ينظر كتاب (أسرار ثورة ١٤ تموز)، المصدر السابق،ص ٤١٦.

(١٩) مصطلح إزدرائي ذو صبغة عنصرية ـ طائفية يطلق على أبناء الجنوب العراقي.. لاسيما النازحين منهم إلى بغداد.

مستمراً في هذه الأثناء. وفي الوقت نفسه، تدفق العمال والحمالون والحرفيون من الأحياء المجاورة لشارع الكفاح (غازي سابقاً) وخصوصاً من عقد الأكراد، في الاتجاهات نفسها. وحمل الناس أسخف الأسلحة – معظمها العصي (رفض قاسم حتى النهاية تسليمهم أسلحة نارية) – وكان منظرهم مأساوياً كقطيع من الغنم يسرع الخطى مهرولاً إلى المسلخ، على حد تعبير حنا بطاطو .

في هذه الأثناء، وفي الجهة الأخرى من بغداد، في الكرخ حاول سكان الأكواخ الطينية في الشاكرية، ومعهم أفقر خبازي وصيادي وبائعي خضار العاصمة من منطقتي الكريمات والشوّاكة، بقيادة الشيوعيين – بلال علي صبحة عضو القسم العسكري و متي هندي هندو مسؤول منطقة الكرادة الشرقية الحزبية وليلى الرومي عضو لجنة بغداد، المحلية – مهاجمة مبنى الإذاعة في الصالحية الذي كان "المجلس الوطني لقيادة الثورة" قد انتقل اليه للتو، ولكنهم صُدّوا بواسطة وحدة من كتيبة الدبابات الرابعة، و وقعت بينهم خسائر فادحة[٢٠] .

بعد مرور عشر ساعات من المواجهة المحتدمة، تيقن الزعيم أن المعركة ليست لصالحه، فقرر إنهاءها بأقل الخسائر، خاصة وإن عدداً من مساعديه

---

(٢٠) حنا بطاطو، المصدر السابق، ٣ : ٢٩٣.

قد قُتل، فضلاً عن انه كان صائماً، فقرر أن يتصل هاتفياً مساء ٨ شباط (فبراير) بالعقيد عارف، بعد أن سمع من الإذاعة نبأ تعيينه رئيساً مؤقتاً للجمهورية، وذكّره بالماضي قائلاً : "أنا أخوك، ولن أنسى أبداً الخبز والملح الذي بيننا". ورد عارف – وهذه روايته للمحادثة – قائلاً إن المسألة الآن مسألة (مبادئ وحرية ووطن) وإن المجلس الثوري قرر أن عليه الاستسلام عند البوابة الرئيسية لوزارة الدفاع رافعاً يديه إلى الأعلى ومن دون رتبة وشاراته العسكرية(٢١). وفي حوالي الساعة ١١:٠٠ صباح اليوم التالي، ٩ شباط (فبراير)، أي قبل حوالي ساعة من خمود لهيب القتال من اجل السيطرة على الوزارة، عاد قاسم فكرر اتصاله هاتفيا بعارف من (قاعة الشعب) التي كان قد انتقل إليها مع معاونيه. هذه المرة – واستنادا دوما إلى عارف – التمس إنقاذ حياته والسماح له بمغادرة البلاد. لكن الأجواء كانت مشحونة بقوة ضده، وترك بلا خيار غير الاستسلام غير المشروط.

---

(٢١)لقد تنكّر عبد السلام عارف وقادة الانقلاب لكل الوعود التي قطعوها للوسيط يونس الطائي بالالتزام بشرط الزعيم بعدم قتل أي من رجاله وبالموافقة على تسفير الزعيم للخارج بعد مرور فترة ، أي عندما تهدأ الأمور، وكان الطائي طلب مغادرة الزعيم فوراً ، لكن عارف طمأنه..وسرعان ما تنصّل عارف عن عهوده تلك قائلاً للزعيم في مكالمة هاتفية: "إن المسألة أصبحت تتعلق بالمبادئ ومصلحة الوطن، وأن المجلس الوطني لقيادة الثورة قرر أن تستسلم في الباب الرئيسي لوزارة الدفاع واضعا يديك فوق رأسك، وبالفانيلة، وبلا رتب عسكرية"- للتفصيل ينظر: علي كريم سعيد، عراق ٨ شباط من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٩٨ وما بعدها، وكذلك: إسماعيل العارف، المصدر السابق، ص ٤١٤ وما بعدها !.

وتم اعتقال قاسم عند الساعة ١٢:٣٠ ، وكان معه المهداوي، وطه الشيخ أحمد، وضابط صغير مدني – بدون رتبة – سكرتير شخصي، وبعد مواجهة قصيرة مع أعضاء مجلس قيادة الثورة حاول عارف خلالها، دون جدوى الحصول منه على اعتراف بأنه هو وحده – أي عارف نفسه– خطط لانقلاب ١٤ تموز (يوليو)!. أجريت لقاسم ورفاقه محاكمة ميدانية عسكرية وحكم عليه بالإعدام بإطلاق النار عليه من قبل فرقة إعدام . وتم تنفيذ الحكم عند الساعة ١٣:٣٠[٢٢].

هنا لابد من وقفة سريعة أمام مجريات مادار بين الفريقين، خلال الساعة الوحيدة بين استسلام الزعيم وإعدامه، ونترك المجال لشاهد عيان منصف كان محسوباً على الانقلابيين، وكان يذيع بيانات الانقلاب بمعية شفيق الكمالي و هناء العمري (زوجة علي صالح السعدي)، إذ يقول الإعلامي المعروف إبراهيم الزبيدي في كتابه "دولة الاذاعة":"لست مؤرخاً ولا حزبياً منحازاً إلى هذا أو ذاك، بل شاهد عيان على واحدة من أكبر وأبشع الجرائم في تاريخ العراق. كانت مصادفة عجيبة تلك التي قادتني بحكم عملي، إلى حضور حوار سري جداً وخاص جداً ونادر جداً بين قادة عهد سقط وعهد آخر قام على جماجم قادته. وما سأرويه هنا بدقة ونزاهة

---

(٢٢) حنا بطاطو، المصدر السابق، ٣ : ٢٩٦ (بشيء يسير جداً من التصرف).

كاملة لإرضاء ضميري والتاريخ، قد لا يتفق مع ما رواه الكثيرون غيري من أصحاب الغايات والأغراض المتنوعة عن تلك اللحظات التي مرت ثقيلة كالرصاص.

في التاسعة من صباح الجمعة ٨ شباط/فبراير ١٩٦٣ سمعت البيان الأول من الإذاعة بصوت غير إذاعي، علمت بعد ذلك أنه كان صوت أحد قادة الحزب: حازم جواد. وفي حدود التاسعة والنصف تبلغت من قبل الحزب بضرورة الحضور إلى الإذاعه.

وصلت في حوالي الساعة العاشرة أو قبل ذلك بقليل.. و وصل في هذه الأثناء كل من شفيق الكمالي وهناء العمري (زوجة علي صالح السعدي) والمذيعان عبد اللطيف السعدون وقاسم نعمان السعدي. وفور عودة البث إلى أستوديوهاتنا في الصالحية رحنا، الكمالي وهناء وأنا، نتبادل الجلوس خلف الميكروفون لإذاعة بيانات وبرقيات وشعارات كان بعضها يعطى لنا مكتوبا، وكنا نكتب نحن بعضها الآخر.

ثم توالى وصول الـ(قادة)، عسكريين ومدنيين، نعرف بعضهم ولا نعرف بعضهم الآخر. رأيت أحمد حسن البكر، وعبد السلام عارف، وعلي صالح السعدي، وحازم جواد، وعبد الستار الدوري، وطالب شبيب، وصالح مهدي عماش. ولم أكن أعرف غيرهم. وفي اليوم التالي وصل حردان

التكريتي وغيره، وامتلأ المبنى حتى كاد يضيق. بقينا نعمل طـوال النـهار والليل. لم نتوقف عن الإرسال، نتبادل الجلوس خلف الميكروفون، اثـنين اثنين. وفي ضحى السبت علمنا باستسلام عبد الكريم وبعض أعوانه. وقيل إنهم سُيرحلون إلى الإذاعة بين وقت وآخر.

وفي حوالي الساعة الثانية عشرة، أو بعد ذلك بقليل، وصلت ناقلـة جنود نزل منها أولاً فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة الخاصة الشـهير، واثنان لم أكن أعرفهما.

عند لحظة نزولهم من الناقلة هجم على المهداوي جمـع غفـير مـن العسكريين والمدنيين وانهالوا عليه بصاقاً وضرباً بالأيدي والأرجل والأحذية. ورأيت الدم يسيل على رقبته ويغطي وجهه، وتعثر مرتين وهو يصعد سلالم المبنى القلائل في طريقه إلى أستوديو الموسيقى، تحت وابـل مـن الضـرب والصياح رافقه إلى أن وصل إلى باب المبنى. ثم جاءوا بـوصفي طـاهر، المرافق الأقدم للزعيم، وهو في أنفاسه الأخيرة، فألقوه في الممـر الجـانبي للمبنى. وما زلت أذكره وهو يلفظ آخر أنفاسه.

وفجأة ساد هدوء وصمت غريب. كانت قد خُلعت عن الزعيم نجماته وأوسمته، وكان حاسر الرأس، شاحباً، نظراته تتنقل بسـرعة بـين وجـوه الواقفين على جانبي مدخل المبنى. دخل، وعلى يساره أَجلس المنتصـرون

بعضَ مؤيديه الذين ألقوا القبض عليهم، في عملية خبيثة جداً تهدف إلى إفهامه أن هؤلاء الحفاة هم كل أتباعه من الشعب الذي كان فخوراً بحبه وإيمانه بزعامته.

فجأة حاول أحد الحاضرين أن يعتدي عليه فمنعه ضابط، عرفت فيما بعد أنه صبحي عبد الحميد. ثم تقدم حردان ووضع يديه فوق رأسه. وفي طريقه إلى أستوديو الموسيقى كان صالح مهدي عماش (أحد قادة الانقلاب) منتظراً على مدخل صالات التسجيل، فهنأه الزعيم على نجاحهم في الانقلاب عليه.

كانت أطراف الحوار التي تصل الينا عبر الميكرفون عبارة عن أصوات متشابكة، بشكل عام. لكن سمعنا عبد السلام يخاطب المهداوي ويؤشر بعصا كان يحملها ويقول: قم وحاكم عبد السلام الآن. ثم سمعناه يلح على عبد الكريم بالإقرار بأنه هو الذي كتب البيان الأول لثورة تموز. كما سمعنا علي صالح السعدي يسأل عبد الكريم عن شخص، فهمنا بعد ذلك أنه كان يسأله عن شخص وشى بمحاولة انقلاب سابقة كان الحزب يخطط لها، طالباً منه أن يقول هل هو موجود بين الحاضرين أم لا. فرد عبد الكريم بإصرار قائلا إنه غير موجود، ثم أقسم بشرفه. وسمعنا عبد الستار الدوري يقول: "من أين لهذا شرف؟" فيرد عبد الكريم غاضباً: "لك شرفك ولي شرفي الذي أعتز به". وسمعنا أيضاً حديثاً متقطعاً عن جهاز لاسلكي وضعه عبد السلام

وعبد الكريم في مكتب رفعت الحاج سري، لكنه استخدم في المحاكمة كدليل إدانة بحق رفعت. وعموماً كان عبد الكريم متماسكاً، يحاور بكلمات موزونة، وبصوت هادئ وقور. وفي ظني أن ثلاثة أرباع رباطة جأش الزعيم وتماسكه تعود إلى قناعته بأن لقاءات أخرى، وربما جلسات ومحاكمة قادمة، على الطريق، وسيقول فيها ما لديه.

كان مقتنعاً كل القناعة بأنه خدم شعبه ووطنه بنزاهة واستقامة وإخلاص ولا شيء يدينه. فقد كان يطالب بالمحاكمة العلنية مثلما فعل هو مع الطبقجلي ورفعت الحاج سري وعبد السلام وغيرهم. وأكبر ظني أنه قرر أن يحتفظ برصانته وهدوء أعصابه وحججه للمواجهات العديدة القادمة. لم يكن يخطر على باله مطلقاً أن تصبح هذه المحاورة الفوضوية والأسئلة السطحية المتناثرة، والأصوات المتشفية والشتائم الرخيصة هي المحكمة الأولى والأخيرة التي ما بعدها محكمة، وأن مصيره تقرر في تلك الجلسة العابرة، وأن رصاصهم ينتظره على الباب ليخترق جسده ويسكت أنفاسه في لحظات.

لا أذكر من أخرج قاسم الجنابي، مرافق الزعيم، وسلمه لنا طالباً منا أن نجد له مكاناً مؤقتاً إلى حين. لم يكن لدينا مكان سوى صالة صغيرة معدة لتسجيل الأحاديث. كان يرتجف من الخوف، ولن أنسى منظره ما حييت .

حين بدأ إطلاق الرصاص هتف عبد الكريم قائلا: (عاش الشعـــــ...) ولم تمهله الرصاصة ليكمل هتافه بحياة الشعب العراقي. وسقط الجميع عـن كراسيهم، وعاد الصمت يجلل المكان، وتناثر دمه، هو وحده، وبضعة مـن شعر رأسه، على جدار صالة الموسيقى، وظل سـنوات يـراه الموسـيقيون والمطربون وزوار الإذاعة كأثر من آثار الماضي السحيق.

وكلنا يتذكر ذلك الجندي الذي رفع رأس الزعيم وبصق على وجهه وهو قتيل، مأخوذاً بحالة العنف والحقد والانفعال التي سادت المكان. لكن الذي سمح بعرض جثة الزعيم على شاشة التلفزيون هو البكر نفسه، ليسجل للتاريخ سابقة لا تغتفر، ظلت وسوف تظل وصمة عار في جـبين الحـزب الذي أعاد العراق والعراقيين عشرات السنين إلى الوراء. يكفي أن القـادة الجدد أمروا بحمل جثة (قتيلهم) سراً وبعيداً عن العيون، وأمروا بدفنـه في أقصى بقعة أرض ممكنة عن العاصمة. لفّ الضباط البعثيون الجثـة بـبعض البطانيات، وأخذوها إلى منطقة معامل الطابوق الواقعة بين بغداد وبعقوبة. ودفن عبد الكريم قاسم في حفرة، بملابسه العسكرية التي قتل فيها. وقـد اختيرت الحفرة في مكان بعيد عن رصد الناس، ثم هالت المفرزة العسكرية التراب عليه، وأخفت جميع المعالم التي تدل على قبره.

ولكن بعض العمال الذين كانوا يسكنون حول معامل الطابوق ممـن يحبون عبد الكريم قاسم شاهدوا ما جرى. فعندما ابتعدت المفرزة العسكرية،

تسلل إلى المنطقة بعض هؤلاء العمال، واستخرجوا الجثة من الحفرة، وحملوها على أكتافهم إلى مكان يقع بين المجمعات السكنية للعمال، فحفروا لها قبراً جديداً ودفنوها فيه. وسرعان ما سرى الخبر بين العمال، وتسرب إلى سلطات الأمن التي داهمت العمال، وألقت القبض على المتهمين الذين تعرضوا لعقوبات صارمة. ثم قام رجال الأمن باستخراج الجثة، بحراسة ثلة من الجيش، ووضعوها في كيس من (الجنفاص) وأثقلوه بكتل من الحديد الصلب. وفي المساء ألقيت الجثة من على جسر نهر ديالى الذي يصل بغداد بسلمان باك لتكون طعاما للأسماك (٢٣).

غني عن القول:إن المرء لايحتاج إلى اطلاع واسع على أصول المرافعات في المحاكمات ليقطع بأن ما جرى في دار الإذاعة ظهيرة التاسع من شباط لم يكن سوى حوار بين عصابة تحقيق وبين أسير مغلوب على أمره تحاوشه أعداؤه كالذئاب الهائجة لكنه ظل رابط الجأش بشهادة حتى خصومه، الذين أفحمهم حينما طالبهم بمحاكمة أصولية علنية مثلما فعل هو مع الطبقجلي ورفعت الحاج سري وعبد السلام وغيرهم..

---

(٢٣) للتفصيل ينظر: إبراهيم الزبيدي، دولة الإذاعة – سيرة ومشاهدات عراقية ١٩٥٦-١٩٧٤، المجلس العراقي للثقافة، عمان، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص١٠٦-١١٤.

ورغم إن الذاكرة العراقية ظلت تحتفظ باللقطة التي عرضت على شاشة التلفزيون، والتي ظهر فيها جندي وأمام قادة الانقلاب برفع رأس الزعيم ويبصق على وجهه وهو قتيل، بأمر مباشر من أحمد حسن البكر!!فإن قطاعاً واسعاً من العراقيين ظل إلى فترة طويلة لم يصدق المشهد ، ولم يقتنع بموت الزعيم، مشككاً بما عرضته الشاشة، وان الصورة مفبركة، وانتشرت شائعة بأنه قد تمكن من اللجوء إلى إيران، ويعيش هناك متخفياً. وقد سأل كاتب السطور ممازحاً أحد البسطاء من معارفه كان قد رجع من زيارة الإمام الرضا (ع) في مشهد، في تموز ١٩٦٨م، عمّا إذا قد سمع شيئاً عن أمر الزعيم هناك، فأجابه بعفوية إنه قد لمح شخصاً يشبه الزعيم إلى حدٍ كبير، وحينما سُئل: لماذا لم تحدثه وتتعرف علية عن كثب.. أجاب بأنه افتقده في زحمة الأعداد الغفيرة من الناس!.

المدهش حقاً والمثير للتأمل طويلاً، أن نكتشف لاحقاً مصائر الأعم الأغلب ممن أوغلوا في دم عبدالكريم قاسم، أو ساهموا أو أعانوا على نهايته الدامية.. إذ انتقم الله منهم جميعاً، فتوزعت نهاياتهم بشكل فجيع ما بين؛ الإعدام شنقاً أو رمياً بالرصاص، القتل اغتيالا أو تعذيباً، أو سماً، أو دهساً، أو صبراً، أو الموت البطيء، سجناً أو إقامة جبرية.. أو نفياً.

وقد أدرج الباحث المرحوم د.علي كريم سعيد أسماء (١١٥) شخصية من هؤلاء ممن قضوا نحبهم وكأنهم ضحايا "لعنة قاسم" التي ظلت تطاردهم

وهم في الأجداث هامدون. علماً بأن الباحث قد فاتته – إن لم يكن أغفل عن عمد– العديد من الأسماء التي لم ترد في قائمته الطويلة تلك.. وإنّ ربّك بالمرصاد!.

عناوين بيانات الانقلاب

توالت بيانات الانقلاب في اليومين الأولين ، وندرج هنا العناوين العريضة لفحوى تلك البيانات وأرقامها:

بيان رقم (٢): إحالة ١٨ ضابطاً على التقاعد منهم :اللواء الركن أحمد صالح العبدي، زعيم الجو اللواء جلال جعفر الأوقاتي، الزعيم فاضل عباس المهداوي، الزعيم الركن ماجد محمد أمين، الزعيم عبدالكريم الجده، اللواء الركن علي غالب عزيز.. ودعوهم إلى تسليم أنفسهم إلى أقرب مركز شرطة.

بيان رقم (٣) : تشكيل قوات الحرس القومي

بيان رقم(٤): ١– تعيين العقيد الركن عبدالكريم مصطفى قائداً لقوات الحرس القومي،٢– أبو طالب عبد المطلب الهاشمي برتبة

رئيس (رائد) مؤقت معاوناً لقائد الحرس القومي وأربعة آخرين أعضاء في هيئة القيادة.

بيان رقم (٥): تعيين الزعيم الركن عبد الغني الراوي قائداً للقوات المسلحة في منطقة الرمادي.

بيان رقم (٦) : غلق الحدود والمطارات فوراً وإلى إشعار آخر.

بيان رقم (٧): تعيين العقيد الركن خالد مكي الهاشمي آمراً للقطعات المدرعة في بغداد ومديراً للدروع.

بيان رقم(٨): منع التجول من الساعة الثالثة بعد ظهر هذا اليوم وحتى إشعار آخر ويتعرض للرمي دون سابق إنذار كل من يخالف ذلك.
تعيين الرئيس الأول الرائد الركن جميل صبري منصب مدير الأمن العام.

بيان رقم (٩): منح أحمد أمين رتبة زعيم شرطة وتعيينه بمنصب مدير الشرطة العام.

بيان رقم (١٣): تخويل الأجهزة الأمنية والجيش والحرس القومي بإبادة المقاومة في كل مكان.

بيان رقم (١٦): إعفاء رئيس وأعضاء مجلس السيادة من مناصبهم، وإلغاء مجلس السيادة، ومنصب القائد العام للقوات المسلحة.

بيان رقم (١٧): انتخاب عبد السلام محمد عارف رئيساً للجمهورية العراقية[٢٤].

من تداعيات الانقلاب

هدأت لعلعة الرصاص في شوارع بغداد ليبدأ الأنقلابيون حملة مسعورة في مداهمات البيوت بحثاً عن مناوئيهم من شيوعين ووطنيين يدينون بالولاء للزعيم، وشملت الاعتقالات وزراء ومسؤولين كباراً وضباطاً مرموقين، حيث أُقتيدوا بأساليب مهينة إلى أقبية السجون، وقد لقي البعض منهم صنوف التعذيب حتى الموت، على يد جلادي مكتب التحقيق الذي تشكل من: عمار علوش ،ناظم كزار ،عبدالكريم الشيخلي، صدام التكريتي وغيرهم.

وقد لحق بالشيوعيين من صنوف الاضطهاد والقمع الشيء الكثير، وناء كاهل الحزب الشيوعي بمحنة تلو أخرى. وكان ما يجري تكراراً

---

(٢٤) للمزيد ينظر: العراق وثائق ومعلومات، المصدر السابق، ٢ : ١٣٠.

لكارثة ١٩٤٩، ولكن على نطاق أوسع وأكثر كثافة .والأذى الذي أصاب كادر الحزب هذه المرة شديد العمق. ولم يسلم تنظيم حزبي واحد في الجزء العربي من العراق من المساس به. وطال العنف حتى النساء. وتزايدت الإعدامات التي كانت تتم بعد محاكمات سريعة. وشل الجزع أوصال المتعاطفين مع الحزب. ووصل تأثير الخوف حدوده القصوى. ومرة ثانية، وكما في العام ١٩٤٩، بدا وكأن ساعة الحزب قد دقت.

واستمرت هذه الأوضاع، بدرجة أو بأخرى،خلال الأشهر التي كان البعث يمسك فيها بزمام السلطة. ولم يختر البعثيون بأنصاف الحلول، إذ إنهم كانوا يريدون إقناع أنفسهم بأن الشيوعيين إنما كانوا يدفعون ضرائب استحقت عليهم منذ زمن، الأمر الذي يبرر لهم – البعثيين – أفعالهم تماماً.. ومما يعكس الروحية التي ينظر إلى عمليات القتل الطرافة التي رواها العقيد محمد عمران، العضو السوري في القيادة القومية للبعث، أثناء المؤتمر القطري السوري الاستثنائي للحزب عام ١٩٦٤، حيث قال:"بعد المؤامرة الشيوعية (يقصد انتفاضة معسكر الرشيد في الثالث من تموز ١٩٦٣) طُلب من أحد ضباط الجيش (العراقي) إعدام أثني عشر شيوعياً، ولكنه أعلن أمام عدد

كبير من الحاضرين أنه لن يتحرك إلا لإعدام خمسمائة شيوعي، ولن يزعج نفسه من أجل أثني عشر فقط"[٢٥].

في خضم المذبحة تلك، انخرط في مكاتب التحقيق (ويتصدرها قصر النهاية المرعب) قياديون بعثيون بارزون أمثال؛ علي صالح السعدي (نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في حكومة الانقلاب ، وأمين سر قيادة القطر، وعضو المجلس الوطني..) وحازم جواد القيادي الثاني في البعث يومئذ، والناطق الرسمي باسم الحكومة، ومدحت إبراهيم جمعة (عضو قيادة) وشمسي كاظم (عضو قيادة سابق).. بمعية قياديين لاحقين من قبيل: صدام حسين، عبد الكريم الشيخلي (الذي أصبح وزير خارجية بعد ١٩٦٨)، وناظم كزار (مدير الأمن العام بعد ١٩٦٨)، صلاح عمر العلي (وزير الاعلام بعد ١٩٦٨) ، وإبن عمه جلال شاكر التكريتي، طه الشكرجي (العسكري المعروف)، عمار علوش (أحد جزاري قصر النهاية)، سعدون شاكر (وزير داخلية بعد ١٩٦٨)، خالد طبرة (جلاد معروف).

وبعيداً عن محاكمات التحقيق المرعبة ، في أقبية قصر النهاية، نكتفي هنا، بذكر بعض ما كان يدور في مكاتب التحقيق المخففة جداً، وهذا إسماعيل العارف (وزير المعارف (التربية) في حكومة عبد الكريم قاسم)

---

(٢٥) حنا بطاطو، المصدر السابق، ٣ : ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

يتذكر جانباً مما لقي من عنت وإهانة، رغم أنه صديق لبعض زعماء الانقلاب وزميل أو أستاذ لآخرين منهم.. فأُقتيد مساء اليوم الثالث من الانقلاب إلى رئيس أركان الجيش طاهر يحيى في معسكر الرشيد، يقول العارف: "وما إن دخلت أنا وأخي حتى تقدم نحوي علي صالح السعدي الذي كان أمين سر حزب البعث، وقد عُيّن نائباً لرئيس الوزراء ، وأُنيط به أمر التحقيق الفوري وإصدار الأحكام الآنية على من أشترك من الضباط السياسيين في حومة عبدالكريم قاسم. فاستقبلني في هياج وعنف معربداً وقال :"وقعت بيدي الآن.. إلى كم قطعة سوف أمزقك ؟" .ثم أحاطت بي مجموعة من المدنيين والضباط، شاهرين غداراهم. وانهال علي السعدي يكيل التهم كالسيل المنحدر من تل. فتصورت أن مصيري سوف لن يختلف عن مصير الذين سبقوني من صحبي، أي القتل.

راح السعدي يصورني أمام المحيطين بي على إنني العدو اللدود الذي كان يحاربهم، ويسيّر سياسة الدولة بالنيابة عن عبد لكريم قاسم. فشحن الجو ضدي حتى بدأ البعض منهم يستسهل التجرؤ على إيقاع الأذى بي أو توجيه الإهانة إلي" .

وحين سمح السعدي لإسماعيل العارف بالحديث قائلاً:"..تكلّم ربما إذا تكلمت ستنقذ رقبتك من المصير المحتم"، وكان في وضع متهيج يتحرك يمنة ويسرة بعصبية ظاهرة، قد امتلأ فخراً بشخصه وبالسلطة المطلقة التي آلت

إليه.." ويواصل العارف شهادته :"وبينما كنت مندمجاً في حديثي أنبرى أحد طلابي، وهو الرئيس (الرائد) عبد الحق نعمان منفعلاً متضايقاً من الاسترخاء الذي أحدثه كلامي، وقاطعني مخاطباً علي السعدي:"سيدي دعنا نأخذه (كروان) في الغرفة المجاورة، ويعني بذلك ضربي وإهانتي. وأضاف متسائلاً: ألم أقل لكم لاتدعوه يتكلم لأنه سوف يقنعكم ؟" فتوقفت عن الحديث برهة ثم أجبته:"أشكرك هذا ما كنت آمله منك.. لقد أثبتَ خلاف المثل العربي القائل:" من علمني حرفاً.." [٢٦].

في تلك الأجواء المكفهرة، كان إسماعيل العارف شاهداً على حادثة أخرى فيقول :"كان يجلس على مسافة مني العميد عبد المجيد جليل مدير الأمن العام في حكومتنا يختلس النظر إلي بين الفينة والفينة.. اقتر ـه علي السعدي يحاوره ويسال عن أمر أصر عبدالمجيد جليل عن عدم الإباحة به، فبصق في وجهه وصفعه، على وجهه صفعة قوية مؤذية.. وبعد فترة قصيرة أُقتيد عبد المجيد جليل إلى الساحة الواقعة خلف البهو، ونُفذّ به حكم الإعدام رمياً بالرصاص في تلك الليلة"[٢٧].

---

(٢٦) إسماعيل العارف، المصدر السابق، ٤٢٤ ـ ٤٢٥.
(٢٧) المصدر نفسه، ٤٢٧.

ولئن كان هذا الأسلوب المستهجن ديدن القيـادي الأول في بعـث العراق، فإن الشخص الأول في سلطة الانقلاب (عبد السلام عارف) لم يكن بمنأى عن ذلك، فحين أُقتيد عبد الكريم قاسم ورفاقه ظهيرة التاسع مـن شباط، وجه عبد السلام عارف كلاماً نابياً لطه الشـيخ أحمـد (رئـيس استخبارات قاسم العسكرية الشخصية).. ثم صفعه على وجهه بقوة وقال له:" يهودي ابن اليهودي".. لينفذ به الإعدام رمياً بالرصاص بمعيّـة عبـد الكريم قاسم والمهداوي والملازم كنعان خليل حداد، بعد خمس دقائق فقط من هذا التقريع[٢٨].

فإذا كان هذا السلوك يصدر من أعلى قمة الهرم السياسي والحزبي.. فما بالك بما دون ؟! وهنا يحضرنا قول الشاعر القديم:

إذا كان رب البيت بالدف ناقراً   فشيمة أهل الدار كلهمُ الرقص !

مع فارق هو أن الرقص – في ظل مكاتب التحقيق الأمنية وانتهاكات الحرس القومي – يكون على أشلاء الضحايا والمنكودين ممـن سـاقتهم أقدارهم أن يقعوا فريسة وحوش كاسرة، ليس في قاموسها مفردة تتعلـق بقيمة الإنسان وكرامته وآدميته وحرمته، حياً وميتاً.

---

(٢٨) للتفصيل: ينظر المصدر نفسه،ص٤٢٠.

ولمن يستزيد الإطلاع على أنواع الجرائم البشعة والانتهاكات الخطيرة لزمرة البعث فليراجع كتاب "المنحرفون" الذي أصدرته حكومة عبد السلام عارف عام ١٩٦٤، ففيه ما فيه من البشائع التي يصعب تصديقها . وما تزال عالقة في ذهن كاتب السطور صورة لهرم صغير من الجثث الآدمية لضحاياهم، وقد ألقى عليها القتلة قناني الخمرة الفارغة، مع يافطة مكتوب عليها: سنشرب نخب انتصارات الحزب على هؤلاء الذيليين!.

شهادات للإدانة

اليوم، وبعد مرور نصف قرن على الكارثة التي شهدها العراق عام ١٩٦٣ ، والتأمل في نكباتها وويلاتها المتعددة الجوانب، وما تركت من ندوب عميقة في الوجدان العراقي، نجد أن الانقلاب العسكري كان مفضلاً ومحبذاً، لا لوكالة المخابرات المركزية وحسب، كما يذهب الثنائي كوكبورن[٢٩]، بل كان يلقى الدعم والتأييد من قبل أطراف إقليمية فاعلة في المشهد السياسي العراقي، والرضى والقبول، أو التجاهل في أقل التقادير.

---

(٢٩) اندرو - باتريك كوكبورن، المصدر السابق،ص ١٣٦.

وقد صرّح بذلك أحد كبار رجالات وكالة المخابرات المركزية، إذ يقول ما نصه :"لقد غضينا الطرف عمّا يحدث في العراق حينها"[٣٠].

إن الدماء التي سُفكت، في حقبتي البعث ١٩٦٣ ، ١٩٦٨ ، لم يكن المسؤول عنها هو حزب البعث وحده، ولا العواصم الإقليمية التي ساهمت في إيصاله إلى السلطة.. بل إن العواصم الكبرى (وبالذات واشنطن ولندن) ضالعة في تلك المأساة الدامية، بل في عموم شؤون البلد ومقدراته السياسية والاقتصادية والتربوية ..الخ، وهذه المحاور جميعها مسؤولة عما عمّا جرى في البلد من نكبات ومجازر وعقم سياسي وانحطاط حضاري.

وليس هذا التحليل من باب الإدعاء بل هو واقع ملموس لا يغيب عن ذهن أي مراقب منصف رصد الحدث العراقي بحيادية وصدق وأمانة، بمن فيهم بعض الذين خُدعوا بحزب البعث، وحين انجلت عن أعينهم غبرة الغبش وتكشّفت أحابيله، التحموا مع ضمائرهم التي استيقظت، فأزاحوا الستار واعترفوا بحقيقة الأمر. ويحضرنا في هذا المجال عدد من هؤلاء، وأبرزهم :

(٣٠) المصدر نفسه.

- **مالك مفتي**

في عام ١٩٩٦ نشر مالك مفتي كتابه "مصنوعات سيادية " Sovereign Creations، وفصله التاسع المعنون " تجدد الوحدوية ١٩٦٣ - ١٩٦٤ " زاخر بالمعلومات. إذ يلخص مفتي المعلومات الواردة في عمل بطاطو " الطبقات الاجتماعية القديمة " وكتاب بنروز Penrose " العراق: العلاقات الدولية والتطور الوطني " ثم يضيف معلومات عن الجدالات بين البعثيين السوريين والبعثيين العراقيين، حصل عليها من مقابلة أجراها مع الوزير السوري السابق جمال الأتاسي. ويوفر هذا توثيقاً إضافياً لتعاون الولايات المتحدة في انقلاب ١٩٦٣[٣١].

- **سعيد ابو ريش:**

لعل سعيد أبو ريش أكثر المؤلفين إحاطة بموضوع التدخل الأمريكي في العراق خلال الفترة الممتدة من ١٩٥٨ -١٩٦٣ . فإن كتابيه "صداقة وحشية:الغرب والنخبة العربية " A Brutal Friendship :The West and the Arab Elite "، الصادر عام ١٩٩٧ ، و" صدام حسين:سياسة الانتقام " Saddam Hussein:The Politics of Revenge "، الصادر عام

(٣١) وليام جي . زيمان، المصدر السابق، ص١١.

٢٠٠٠ ، يعترفان بالبحث الذي أجراه كتاب سابقون مثل مالك مفتي وحنا بطاطو ومحمد حسنين هيكل وماريون وبيتر سلغليت لكنهما يذهبان أبعد منهم بكثير. وتتمثل مساهمة أبو ريش المتميزة في أنه يضيف معلومات مفصلة حصل عليها بخبرة شخصية، ومن مقابلات عديدة مع شخصيات قامت بأدوار أساسية في انقلاب ١٩٦٣، مثل جيمس كريتشفيلد James Crichfield مسؤول الشرق الأوسط في وكالة المخابرات المركزية خلال ١٩٦٣، وهاني الفكيكي عضو قيادة حزب البعث خلال عام ١٩٦٣، والعديد من الأمريكيين والعراقيين الآخرين، المذكورين بالأسم أو الذين أبقيت هوياتهم مجهولة. يقتبس كتاب "صداقة وحشية " من ٥٨ مقابلة بالإسم و٢٩ مقابلة بلا إسم. كما يسهم المؤلف بما أكتسبه من معرفة شخصية عن العلاقات العراقية – الأمريكية السرية، من خلال عمله صحفياً في منطقة الشرق الأوسط إبان الخمسينات والستينات، وعمله حلقة وصل بين الشرق والغرب في مشتريات أسلحة ومعدات إستراتيجية للعراق ، خلال الفترة الممتدة من ١٩٧٤-١٩٧٧، ومن ١٩٨١ – ١٩٨٤[٣٢].

إضافة إلى ما تقدم، تكمن أهمية شهادة أبو الريش بشكل خاص لأنه كان بعثياً ملتزماً إلى أن اختلف مع صدام ، وروى وحشية نظامه. أعطى

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١١ - ١٢.

مقابلة مفيدة إلى فرونتلاين نُشِرت على موقع الأنترنت من ضمن سلسلة وثائقية في محطة (PBS)، قال إن "تورّط الولايات المتحدة في الانقلاب على قاسم في العراق ١٩٦٣، كان حقيقياً. فثمة دليل على أن عملاء الـ(.C.I.A) كانوا على اتصال بضباط في الجيش متورطين في الانقلاب. وثمة دليل على أن مركز قيادة الكترونياً أُنشئ في الكويت لإرشاد القوات التي تُقاتل قاسم. ويوجد دليل أيضاً على أنهم زودوا المتآمرين بلوائح لأُناس تجب تصفيتهم على الفور من أجل ضمان النجاح .كانت العلاقة بين الأمريكيين وحزب البعث في ذلك الوقت وثيقة جداً بالتأكيد .واستمر ذلك لبعض الوقت بعد الانقلاب، وحصل تبادل للمعلومات بين الطرفين . وهذه، على سبيل المثال، المرة الأولى التي تحصل فيها الولايات المتحدة على نماذج معينة من مقاتلات "الميغ" وبعض الدبابات المصنوعة في الاتحاد السوفياتي. تلك كانت الرشوة. هذا ماكان لدى البعث لتقديمه إلى الولايات المتحدة في مقابل المساعدة على القضاء على قاسم". وقال جيمس كريتشفيلد، الذي نظم العملية بوصفه رئيساً للجهاز الخفي في الشرق الأدنى، "الأسوشيتد برس" قبل وقت قصير على وفاته في نيسان (أبريل) ٢٠٠٣: " يجب أن تُدركوا سياق ذلك الوقت وحجم التهديد الذي كنا

نواجهه . هذا ما أقوله لأُناس يقولون ، أنتم يا جماعة الـ(.C.I.A) خلقتم صدام حسين"[٣٣].

- **ريتشارد سايل :**

في عــام ٢٠٠٣ نشــر ريتشــارد ســايل مــن وكالــة يونايتــد بــرس انترناشــنال (U.B.N) تقريــراً بعنــوان " خــاص: صــدام لاعب أساسي في مؤامرة سابقة حاكتــها وكالــة المخــابرات المركزيــة " Exclusive:Saddam Key in Early CIA Plot " وإذ يســتند تقرير سايل الذي نُشر على نطاق واسع عبر الأنترنت، إلى مقابلات مــع دزينة من الدبلوماسيين الأمــريكيين الســابقين، والبــاحثين البريطــانيين، والمسؤولين الأستخباراتيين الأمريكيين السابقين "فإنه يقدم المعلومة التفصيلية الوحيدة الموجودة عن تفويض وكالة المخابرات المركزية وضلوعها في محاولة الأغتيال الشهيرة التي استهدفت عبد الكــريم قاســم في تشــرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٥٩. وبحسب سايل فإن الهجوم الفاشل بالأسلحة النارية نُفّذ بمشاركة صدام حسين بوصفه عميلاً مأجوراً لوكالة المخابرات المركزية، قامت الوكالة لاحقاً بإخلائه وتدريبه ودعمه في الخارج. وتؤكد هذه القصة ظنوناً كانت ترد تلميحاً فقط في كتابات تاريخية ســابقة، ولكــن أخــرين

(٣٣) تيم واينر، المصدر السابق، ص ٧٤٩، هامش ١٩.

وضعوا علامة استفهام على رواية سايل. ويرى أبو ريش أن علاقة وكالة المخابرات المركزية بصدام حسين قبل هروبه إلى مصر ليست ممكنة . ويعتقد بيل ليكلاند Bill Lakeland السكرتير السياسي الأول في السفارة الأمريكية في بغداد ١٩٦٣ أيضاً أن تعاون الوكالة مبكراً في محاولة الأغتيال التي جرت عام ١٩٥٩ وهم وخيال. وعلى الغرار نفسه أستبعد ايكتر رواية سايل حيث كتب :" إن ريتشارد سايل جيد جداً وأنه موثوق على نحو إستثنائي ولكن إذا قال أو كتب أو أعتقد إن وكالة المخابرات المركزية كانت وراء هذا الهجوم على عبدالكريم قاسم فإنه مخطيء قطعاً"(٣٤) .

- **جون كي :**

في عام ٢٠٠٥ نشر المؤلف والمراسل المختص بشؤون الشرق الأوسط جون كي كولي John K.Cooley عمله " الولايات المتحدة واسرائيل والعراق: تحالف ضد بابل " The U.S.,Israel and Iraq: An Alliance against Babylon" ويغطي كولي في كتابه دور وكالة المخابرات المركزية في انقلاب ١٩٦٣ . وهو يعتمد اعتماداً كبيراً على أبو ريش لكنه يُضيف مادة جديدة عن جيمس كريتشفيلد رئيس عمليات الشرق الأدنى في الـ(C.I.A) خلال أوائل الستينات. ويسلط كولي الضوء على نعي في مقبرة آرلينغتن الوطنية يرد فيه أن كريتشفيلد أعترف

---

(٣٤) وليام جي. زيمان، المصدر السابق، ص١٣.

بأنه أوصى أن تدعم وكالة المخابرات المركزية حزب البعث في أوائل الستينات وقال :"إننا كنا نعرف ربما قبل ستة أشهر أن [الانقلاب] سيحدث ". ويقدم كولي تاريخاً موجزاً لسجل كريتشفيلد العسكري والإستخباراتي، ويتناول بعض نشاطاته خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٦٣ في خطوطها العامة[٣٥].

• وليام بلوم :

في عام ٢٠٠٥ أيضاً نشر وليام بلوم طبعة محدّثة من كتابه " دولة مارقة : دليل إلى القوة العظمى الوحيدة في العالم "A Rogue State:Guide to the World's Only Superpower" نُشرت طبعته الأولى في عام ٢٠٠٠. ويقدم بلوم في هذا الكتاب فصلاً طويلاً يلخص فيه كل تدخلات الولايات المتحدة. ويتضمن هذا الفصل قسماً عن العراق خلال الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٣، يسهم فيه بلوم بإضافة مهمة إلى التدوين التاريخي عن طريق ما ينقله من تقارير تتعلق بوثائق رسمية بريطانية، تكشف دعم بريطانيا للحكومة البعثية الجديدة في عام ١٩٦٣ ، وتلخيص مقابلة كاشفة أجراها مراسل صحيفة "لوموند" مع عبد الكريم قاسم في أوائل عام ١٩٦٣. بحلول عام ٢٠٠٠ عندما صدر كتاب

---

(٣٥) المصدر نفسه.

"دولة مارقة" كان بلوم جمع مادة وفيرة بما يكفي لإدراج انقلاب ١٩٦٣ في العراق على لائحة التدخلات الأمريكية التي أعدها[٣٦].

- **وليام جي. زيمان:**

ورغم أهمية الدراسات المتقدمة فإن الدراسة القيّمة التي تقدم بها وليام زيمان تعد الأكثر أهمية وخطورة في آن معاً، لما بذله الباحث من جهدٍ كبير، ولما عززّ الدراسة بوثائق وأسرار تُنشر لأول مرة،كشفت المستور، وأزاحت الستار عن بعض خفايا الملفات السرية في الإدارة الأمريكية . وهذه الدراسة هي ثمرة بحث ومشروع تاريخ منقول شفاهاً على امتداد ثلاث سنوات بهدف توثيق التدخل السري الذي مارسته الولايات المتحدة في العراق ابتداءاً من ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ حتى انقلاب حزب البعث الذي أطاح حكومة قاسم في ٨ شباط (فبراير)١٩٦٣ وما تلاه. يتركز الاهتمام بالدرجة الرئيسية على نشاطات وكالة المخابرات المركزية الـ(C.I.A) وما قدمته من مساعدة إلى حزب البعث وغيره من العناصر المناوئة للنظام.بمن فيهم الرئيس جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة . ويقدم هذا المبحث أدلة قوية على ضلوع وكالة المخابرات المركزية بدور كبير ولكنه أقل من تدخلها الشامل في إيران عام ١٩٥٣ وفي شيلي عام ١٩٧٣[٣٧].

---

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٤.
(٣٧) المصدر نفسه، ص ١.

تؤكد هذه الدراسة التي تتناول التدخلات الأميركية الخفية في العراق خلال المراحل الأولى من تأريخه الحديث أعمالاً سابقة، وتُضيف معلومات مستقاة من دراسة وثائق الحكومة الأمريكية، وتُغني السرد باستخدام مقابلات في التاريخ المنقول شفاهاً مع أبو ريش والمسؤولين السابقين في وزارة الخارجية وليام ليكلاند وجيمس ايكنز والمسؤول السابق في وكالة المخابرات المركزية ايد كين Ed Kane. وكان ليكلاند وايكنز السكرتيرين الأول والثاني للدائرة السياسية في سفارة الولايات المتحدة في بغداد، خلال الفترة التي سبقت انقلاب ١٩٦٣ والفترة التي أعقبته. وكان ايد كين رئيس شعبة العراق في مقر وكالة المخابرات المركزية في واشنطن وقتذاك. ولعل مزيداً من المطبوعات عن هذا الموضوع ستصدر في المستقبل[٣٨].

باحثون جاهروا بالحقيقة المغيبة

وحتى لا نبخس الآخرين أشياءهم فإن من الواجب الإشارة إلى عدد من الباحثين الذين تناولوا الحدث بروح علمية ،غير آبهين بعواقب الأمور خاصة وأن سطوة البعث كانت تطال كل من (تسوّل) له نفسه الإشارة إلى العلاقة السرية بينه وبين المخابرات الدولية. وهنا تُسَجّل لهؤلاء الباحثين فضيلة أسبقية المبادرة في الخوض أبعد من الكلام المباح إلى الملفات الخطيرة المسكوت عنها، فترة ليست بالقصيرة.

---

(٣٨) المصدر نفسه، ص ١٤.

ويأتي في مقدمة الباحثين الجادين الراحل "حنا بطاطو" الذي أصدر سِفَره الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية في العراق "The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq" ، وهو أول دراسة تاريخية باللغة الإنكليزية تذكر دور وكالة المخابرات المركزية في انقلاب ١٩٦٣[٣٩].

يقول زيمان :" يُخزي بطاطو مَن سبق ذكرهم من الكتاب المعاصرين باقتباس سجل عام كان متاحاً لهم جميعاً" . ورغم تحفظ بطاطو على بعض الأحكام غير الموثقة .."لكنه يضيف ما يعرفه شخصياً عن اتصالات خفية جرت قبل الانقلاب بين أعضاء في حزب البعث والأمريكيين"[٤٠].

كما نشر الثنائي "أديث و إي.أف.بنروز" في عام ١٩٧٨م كتابهما " Iraq:International Relations and National Development" والذي ترجمه الأستاذ عبد المجيد حسيب القيسي تحت عنوان "العراق: دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥-١٩٧٥"[٤١].

أجرى المؤلفان مقابلات مع " بعثيين عراقيين حسني الاطلاع قالوا: "إن وكالة المخابرات المركزية تعاونت مع البعث في عام ١٩٦٣. وإن " هاشم

---

(٣٩) صدرت طبعته الانجليزية في نيوجرسي عام ١٩٧٨، وقام بتعريبه عفيف الرزاز، وصدرت طبعته العربية في بيروت بثلاثة أجزاء، وأعيدت طباعته ثلاث مرات (١٩٩٠ ، ١٩٩٥، ٢٠٠٣)، فضلاً عن طبعة له في قم، عام ٢٠٠٦.

(٤٠) وليام جي. زيمان، المصدر السابق، ص ٩.

(٤١) صدر بلغته الأصلية عام ١٩٧٨، أما ترجمته العربية فصدرت عام ١٩٨٩.

جواد وزير الخارجية، في عهد عبد الكريم قاسم، قال لنا لاحقـاً إن وزارة الخارجية العراقية كانت لديها معلومات عن وجود تواطؤ بين البعث ووكالة المخابرات المركزية (.C.I.A)[٤٢].

في معرض تقييمه للكتاب يقول زيمان إنه" عمل دقيق وعلمي آخـر، وهو بالاقتران مع عمل بطاطو (الطبقات الاجتماعية القديمة..) يوفر توثيقاً تاريخياً بشأن دور الولايات المتحدة في انقلاب ١٩٦٣ في العراق"[٤٣].

وفي عام١٩٨٦نشر ماريون وبيتر سلغليت كتابهما "العـراق منـذ ١٩٥٨ "Iraq Since 1958"، وهو تأريخ كامل آخر جرى تحديثه في عام ٢٠٠١ .ويلخص الثنائي سلغليت دور الولايات المتحدة في الانقلاب، بما في ذلك معلومات عن تعاون وكالة المخابرات المركزية حصلا عليها من مقابلة "مسؤول كبير سابق في وزارة الخارجية الأمريكيـة". كـان هـذا المسؤول على الأرجح جيمس ايكنز James Akins السفير السـابق في العربية السعودية والسكرتير الثاني للشؤون السياسية في السفارة الأمريكية في بغداد وقت الانقلاب. و ايكنز معروف بتعاونه في تقديم معلومات عـن

---

(٤٢) ينظر: وليام جي. زيمان ، المصدر السابق، ص ٩، وكذلك :بنروز، المصدر المشار اليه، ١ : ٤٥٤.

(٤٣) وليام جي. زيمان، المصدر السابق، ص١٠.

دور وكالة المخابرات المركزية في الانقلاب، لكنه امتنع مؤخراً عن الحديث عن انقلاب ١٩٦٣، إذا كان الحديث "لأغراض النشر"(٤٤).

بهذا القدر نكتفي باستعراض أبرز البحوث والدراسات التي توسعت في دور وكالة المخابرات المركزية في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، دون أن نغفل عدداً من المطبوعات التي تباينت في تناول هذه النقطة، توسعاً أو إجمالاً أو إغفالاً. وهذا يستدعي أن نمر سريعاً على نماذج من تلك البحوث، سواء الصادرة باللغة الإنجليزية أو اللغة العربية .

فقد غدا صدام، لفترة ليست بالقصيرة، محط إعجاب العديد من الكتاب، لاسيما في ذروة شعبيته عربياً، وتألقه غربياً.إلى جانب ذلك صمت آخرون عن مسلسل جرائمه التي كان يقترفها ضد أبناء العراق وتنكيله بالقوى السياسية المناوئة. وقليل هم الذين سبحوا ضد التيار. وعلى سبيل المثال لا الحصر يحضرنا من الفئة الأولى كتاب أمير اسكندر"صدام حسين ؛

---

(٤٤) المصدر نفسه، ما تجدر الإشارة إليه أن للكتاب ترجمتين؛ الأولى صدرت بعنوان (العراق الحديث من الثورة إلى الديكتاتورية ، مراجعة وتقديم أحمد رائف، الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الثانية صدرت بعنوان (من الثورة إلى الديكتاتورية العراق منذ عام ١٩٥٨) ترجمة مالك النبراسي، منشورات الجمل ، ٢٠٠٣.

مناضلاً ومفكراً وإنساناً"(٤٥) الذي صدر عام ١٩٨٠، كسِيرة مزكّاة رسمياً، حيث أتيحت لصاحبه حصراً إمكانية الاطلاع على معلومات لم تكن تتوفر لغيره، وقراءة الكتاب تؤكد أنه نص دعائي، وصورة صدام المرسومة بفرشاة مغرقة في التملق لا تبقي هامشاً للمصداقية – حسب تعبير زيمان – مع إسقاط ارتباطه بوكالة المخابرات المركزية، التي تلطّخ هذه الصورة ، بطبيعة الحال(٤٦). ومثل ذلك أو قريباً منه كتاب فؤاد مطر "صدام حسين السيرة الذاتية والحزبية وإسلوب الصراع وإدارة الحكم ١٩٣٧–١٩٨٠ "وكتاب (صدام حسين قائد وتأريخ) لصباح سلمان..الخ.

غير أننا فوجئنا بكمٍّ هائل من الكتابات المناوئة لصدام، في أعقاب غزو الكويت عام ١٩٩٠م. حتى أن بعض الإعلاميين العرب ممّن أتعب نفسه كثيراً في إطراء صدام وكيل المديح له، وتصوير انكساراته على أنها انتصارات، وإذا به بين ليلة وضحاها يغير اتجاه بوصلته بالضد تماماً.وكان

---

(٤٥) ذكرت مصادر مطلعة أن المؤلف استلم مبلغاً قدره ثلاثة ملايين دولار تكريماً له من طاغية بغداد، واشترى شقة فاخرة في قلب باريس .. في الوقت الذي كان فيه آلاف الأحرار من علماء دين ومفكرين ومثقفين وأدباء وشعراء وأساتذة جامعة وباحثين ونساء وأطفال وشيوخ يزجّ بهم البعث في غياهب السجون، ليحلوا ضيوفاً على المقابر الجماعية !.

(٤٦) وليام جي. زيمان، المصدر السابق ، ص ٨.

هذا التحول المفاجئ معروفاً لدى الأوساط المطّلعة علـى خفايـا الـدعم لأصحاب المنابر الإعلامية ..فأكثرهم يلهثون وراء اللقمة الأدسم!.

على صعيد الباحثين الغربيين صدرت دراسات عديدة ، ما يهمنا منها تلك التي ذكرت ارتباط انقلاب ٨ شباط بوكالة المخـابرات المركزيـة . ونكتفي هنا بثلاثة نماذج ، وإلاّ فالقائمة تطول.. بل لا طائل وراءها!.

أول هؤلاء كان "رامزي كلارك " وزير العدل الأمريكي السـابق، في كتابه "النار هذه المرة : جرائم الحرب الأمريكية في الخليج"، الذي صدرت ترجمته العربية في الأردن عام ١٩٩٣م(٤٧)، إذ ذكر وهو يسلسل الأحداث المؤدية لحرب الخليج عام ١٩٩١م ، ما نصه:"في ١٩٦٣ :انقلاب ساعدت فيه الــ(.C.I.A) يؤدي إلى الإطاحة بقاسم"، وأضاف :"بعد وقت قصـير من ثورة عام ١٩٥٨ ،شكلت المخابرات الأمريكية لجنة للتآمر بهدف اغتيال عبد الكريم قاسم. وفي الوقت نفسه، وضع جنرالات أمريكيون في تركيـا خطة عسكرية تحت أسم "عظمة المدفع" لغزو شمال العراق، والاستيلاء على حقول النفط هناك، وفي عام ١٩٦٣ ذُبح عبد الكريم قاسم والآلاف مـن مؤيديه في انقلاب دامٍ دعمته المخابرات الأمريكية"(٤٨).

---

(٤٧)ترجمة مازن حمّاد، من منشورات الشركة الأردنية للصحافة والنشر.
(٤٨) المصدر نفسه، ص ١٩، ٢٤.

وفي السياق ذاته، أصدر الثنائي " أندرو كوكبورن وباتريك كوكبورن" كتابهما :"صدام الخارج من تحت الرماد" الذي صدر في بيروت والقاهرة، عام ٢٠٠٠م [٤٩] حيث توقف المؤلفان سريعاً أمام تورط وكالة المخابرات المركزية في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، واستشهدا بمقولة علي صالح السعدي الشهيرة، واعتراف ضابط المخابرات الكبير جيمس كريتشفيلد حول ذلك[٥٠].

أما الكتاب الثالث فهو "إرث من الرماد: تاريخ الـ(C.I.A.) لمؤلفه "تيم واينر" مراسل النيويورك تايمز"، صدرت الترجمة العربية عام ٢٠١٠م[٥١] وتضمن الكتاب العديد من الإشارات التي تؤكد ضلوع وكالة المخابرات المركزية في تدبير انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣.

على صعيد حزب البعث العراقي، فقد أصدر بعض القياديين مذكراتهم - قبل رحيلهم - واعترفوا بلا مواربة بدور وكالة المخابرات المركزية في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م . ومن أبرزهم :

---

(٤٩) ترجمة علي عباس، من منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، ودار المنتظر، بيروت.
(٥٠) ينظر المصدر نفسه، ص ١٣٦.
(٥١) ترجمة انطوان باسيل، من منشورات شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

- **هاني الفكيكي :**

في كتابه " أوكار الهزيمة : تجربتي في حزب البعث العراقي" الذي نشره كحلقات في جريدة الحياة (طبعة لندن) عام ١٩٩٢م ، ثم أصدره في لندن عام ١٩٩٣ [٥٢] وأعيد طبعه بالأوفسيت مرات عديدة. وقد وردت في ثنايا الكتاب معلومات خطيرة، بعضها يُعلن لأول مرة، وكلها إدانات لحزب البعث وكبار قيادييه!.

- **خالد علي الصالح :**

جاء كتابه "على طريق النوايا الطيبة، تجربتي مع حزب البعث " بمثابة تكفير عن ذنب كان يُثقل كاهله إذ وردت عبارة (هل هو ذنب اقترفناه نسدد الآن كفارته) تعليقاً على ما لقيه من تعذيب في قصر النهاية على يد رفاق الأمس. صدر الكتاب عام ٢٠٠٠م، اتسمت ذكرياته بالصدق والصراحة والجرأة، ترقى إلى مستوى المحاكمة – ولا نقول جلد الذات – لتجربته التي عاشها مع حزب البعث، منذ نشوئه وحتى منتصف الستينات، عندما تعرض كغيره للعنف الذي فرضه بقايا ذلك التنظيم على

---

(٥٢) من منشورات رياض الريس للكتب والنشر، بيروت.

أهل العراق"، لينتهي وكله أمل أن يخرج العراق من محنته، في ظل البعث، بجهد شعبه الذي لم ينقطع سيل تضحياته، في سبيل حريته وكرامته"[٥٣].

• فخري قدوري

عام ٢٠٠٦ أصدر كتابه "هكذا عرفت البكر وصدام:رحلة ٣٥ عاماً في حزب البعث"، والكتاب وإن كان دون رفيقيه السابقين في الجرأة،إلاّ أن كتابه يحمل في ثناياه عدداً من الإشارات الخطيرة لارتباط سلطة البعث عام ١٩٦٨ بأجندات مريبة[٥٤].

في المقابل نجد بعض القياديين البعثيين ممن تكتموا على الحقيقة ، وجهدوا في طمسها ، أو في أقل التقادير تعاملوا معها تعاملاً انتقائيا ، ولعل طالب شبيب أبرز نموذج على هذا التوجه . فهو قد صمت عن العلاقة بين حزب البعث ووكالة المخابرات المركزية في انقلاب ١٩٦٣ ، وحين طُرح عليه السؤال عن رأيه بمقولة علي صالح السعدي "جئنا إلى السلطة بقطار

---

(٥٣) أيضا؛ من منشورات رياض الريس للكتب والنشر، بيروت.
(٥٤) من منشورات دار الحكمة ، لندن.

أمريكي" أستبعد ذلك، في حين عاود ليثبت التهمة بنفسه على انقلاب حزب البعث عام ١٩٦٨ ! (٥٥).

والعارفون بخفايا الأمور لا تنطلي عليهم هذه المفارقة ، لأن طالب شبيب كان متورطاً حتى أذنيه في التنسيق مع وكالة المخابرات المركزية في الإعداد لانقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ، فيما كان مستبعداً عن مركز القرار عام ١٩٦٨ ! وما عشت أراك الدهر عجبا!!.

أما حازم جواد، الصديق المقرب لطالب شبيب ، فقد صمت دهراً ، وليته لم ينطق ، فبالرغم من علمه بعلاقات صدام وعماش بالمخابرات الدولية.. ظل يدافع عن حزب البعث بقوله :"كان البعث العراقي الذي فجر حركة ١٤ رمضان حزباً نقياً ومجاهداً ونظيفاً، ووصل إلى السلطة بعملية استشهادية شهد له بها الأعداء!!" (٥٦).

ونترك التعليق للقارئ اللبيب.

---

(٥٥) للتفصيل ينظر: عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم : مراجعات في ذاكرة طالب شبيب، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢١٨وما بعدها.
(٥٦) ينظر كتابه: مذكرات حازم جواد: الرجل الذي قاد البعث العراقي إلى السلطة في عام ١٩٦٣، د . ت . ص ١٧٣.

على أعقاب، استيفاء هذه النقطة.. حري بنا الإشادة بالجهد الدؤوب الذي بذله الفقيد د.علي كريم سعيد في سفره:"عراق ٨ شباط ١٩٦٣: من حوار المفاهيم إلى حوار الدم.. مراجعات في ذاكرة طالب شبيب "الـذي صدر في بيروت عام ١٩٩٩م. ففيه كم هائل مـن المعلومـات المفيـدة والخطيرة – في آن معاً – ولمن يروم الاستزادة فليطالع الكتاب.

الضربة الاستباقية

إن نظرة سريعة على مجريات الأحداث ومخاضاتها ومآلاتها ،في المنطقة عموماً ، والعراق بشكل خاص تؤكد الفكرة القائلة :"إن حزب البعث ضربة استباقية ، من المخابرات الأجنبية ، لغرض تنفيذ مخططها في إدامة الاستعمار الأورو – أمريكي للمنطقة"[١] وإذا ما تأملنا معطيات هذا التحليل فسنجد أن انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م يأتي متسقاً مع الخطوط التفصيلية لذلك المخطط، ولا تعوز الباحث الأدلة الثبوتية لتأكيد هذه الإستراتيجية .

---

(١) عناد عبد الصعب، المصدر السابق.

ولئن كان تنفيذ الانقلاب ومتابعة الاستعدادات له.. قـد أُسـند إلى رجال وكالة المخابرات المركزية فإن التخطيط والتمويل والتوجيه صدر من مركز القرار في واشنطن ، وعلى أعلى المستويات. وقد كشفت الوثائق أن مسؤولين كباراً في الإدارة الأمريكية كانوا ضالعين، بشكل أو بـآخر، في العملية، ومن أبرزهم ألان دالاس (رئيس وكالة المخابرات المركزية) الذي شارك مشاركة فعّالة في عملية الإطاحة بحكومة عبدالكريم قاسم، في نطاق تكريس طاقاته لمناهضة الشيوعية في فترة الحرب الباردة، وفي حالات غـير قليلة زوّدت المخابرات الأمريكية الانقلابيين بأسماء ناشطين شيوعيين، كان مصيرهم القتل(٢)، وهذا هو أحد البواعث الكامنـة وراء اعتـراف ابرز قادة البعث (علي صالح السـعدي) بـأنهم جـاءوا بقطـار أمريكي(٣) .

وعشية الانقلاب.. اتخذت صورة الموقف الأمريكي من نظام حكم عبد الكريم قاسم أبعادها الواضحة بسرعة غير متوقعة، ففي السابع من شـباط ١٩٦٣ سعت الحكومة الأمريكية لإقناع حلفائها في معاهدة الناتو، بفكرة الإطاحة بنظام عبدالكريم قاسم. فقد أكد المندوب الأمريكـي، مـن دون

---

(٢) محمد حديد، مذكراتي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٦، بيروت، ص ٤٧٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٨٩.

موارية، أن أي نظام غير شيوعي هو أفضل من حكم عبدالكريم قاسم، ومن مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها. وفي اليوم نفسه أرسلت وزارة الخارجية الأمريكية تقريراً إلى البيت الأبيض يتضمن وجهة نظر السفارة الأمريكية في بغداد بشأن الأوضاع الداخلية في العراق[٤].

وعلى الرغم من عدم إفصاح الوثائق الأمريكية عن فحوى المقترحات المقدمة إلى وزارة الخارجية الأمريكية من سفاراتها في بغداد، وصعوبة تكهن هذه الدراسة بما ورد فيها، إلا أن البعثيين قد نفذوا تحركهم على وفق خطة مرسومة، في الثامن من شباط ١٩٦٣، لإسقاط حكم عبد الكريم قاسم[٥].

وقد اعترف رجل المخابرات الأمريكي"روجر موريس" في مذكراته "إن المخابرات الأمريكية المركزية شاركت في انقلابين في العراق خلال الأيام الحالكة للحرب الباردة" مشيراً إلى انقلابي البعث الأول ١٩٦٣، والثاني ١٩٦٨م[٦] وفي الآونة الأخيرة لم يعد العديد من الباحثين الأمريكيين يتحرجون من الخوض في بعض "أسرار الأمن القومي" التي كانت محظورة حتى وقت قريب، وذلك بعد ارتخاء قبضة (.C.I.A) على الكتاب

---

(٤) د. سنان صادق الزيدي، المصدر السابق،ص ٢٤.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) مجدي كامل، المصدر السابق، ص ٣٢٧.

والباحثين والإعلاميين، إثر تصاعد الصيحات الرافضة لهذا الحظر، ولتلاحق فضائح المخابرات المركزية، وكثرة الانتقادات لها، لإخفاقها في العديد من مهماتها السريّة خارج أمريكا.

وهكذا انطلقت البحوث والدراسات من عقالها، لتتناول موضوعات خطيرة، وتفتح ملفات كان مسكوتاً عنها. وهذا الكاتب "روجر موريس" المعلق في صحيفة "نيويورك تايمز" يكتب مقالاً في الثامن من شباط ٢٠٠٥، يقول فيه :"إن لديه كتاباً سيصدر في وقت لاحق يتناول فيه انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣. وإذا ما صدر الكتاب بالفعل فإنه يوفر لنا قدراً لا يُستهان به من المعلومات، خاصة إذا ما علمنا بأن "موريس" عمل موظفاً في مجلس الأمن القومي، في عهد الرئيسين؛ "ليندن جونسون" و "ريتشارد نيكسون"، منذ أواخر الستينات، وكثيراً ما كان يسمع عملاء في المخابرات المركزية؛ بينهم أرتشيبالد روزفلت (حفيد تيودور روزفلت و مسؤول كبير في الوكالة لشؤون الشرق الأدنى وأفريقيا وقتذاك) يتحدثون على المكشوف عن علاقاتهم الوثيقة مع البعثيين العراقيين(٧).

---

(٧)ينظر: New york Times,March, 14,2003

إن الوثائق الأمريكية الرسمية التي جُمعت بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ وثائق كاشفة أولاً، هناك مذكرة "روبرت كرومر" السرية إلى الرئيس جون كيندي، مكتوبة بتأريخ ٨ شباط ١٩٦٣، لاطلاعه في إيجاز على الانقلاب:"في حين أن الوقت مازال مبكراً، يبدو أن الثورة العراقية تكللت بالنجاح. ويكاد يكون من المؤكد أنها في المحصلة الصافية مكسب لجانبنا. القوى المحركة الرئيسية في هذا العمل حسن التنظيم هي حزب البعث ، وهو تنظيم يساري معتدل لكنه معاد للشيوعية، له علاقات واسعة في صفوف الجيش. ليس واضحاً بعد ما إذا كانت الغلبة ستكون للسياسيين البعثيين أو القوميين العسكريين، ولكن في كلتا الحالتين سيكون نظام الحكم مفضّلاً على حكم قاسم. تقديرنا أنه (١) سيعمل على موازنة الوجود السوفيتي الكبير بتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة وبريطانيا، و(٢) يكون أكثر تعقلاً مع شركات النفط و(٣) مؤيداً لعبد الناصر لكنه يعارض الوحدة و(٤) يتفاهم مع الكرد ويتخلى عن الكويت .

ويُضيف "كرومر" قائلاً :"يحاول عبد الناصر أن يحتضن الطاقم الجديد لكننا نرى أنه يصفر في الريح. سنرفع عقيرتنا بأصوات ودّية غير رسمية ما إنْ نعرف من نتحادث معهم، وينبغي أن نعترف بالنظام ما أن نتأكد من ترسيخ مواقعه [كلمتان في نص المصدر لم يُلغ الحظر على نشرهما]... تقارير

ممتازة عن التخطيط للمؤامرة، لكني أشك في أن لهم أو لبريطانيا أن يـدّعوا كثيراً من الفضل فيما حدث".

هذه الوثيقة هي الدليل الدامغ الذي جرى تناوله سابقاً. لعل كرومر لم يكن على علمٍ بسعة دور الـ(C.I.A.) في حياكة المؤامرة وتنفيذ الانقلاب. فهو "يشك" فيما إذا كان "لهم أن يدّعوا الفضل فيه". ويُشير استخدام كلمة "الشك" إلى أنه لم يكن متأكداً. ويعود ذلك إلى ثقافة السرية السائدة في وكالة المخابرات المركزية. إذ ما كان كومر ليُطلع على كل التفاصيل إلا إذا طلبها بنفسه. ويبدو أنه لم يتلق إلا إيجازاً من التقارير عن تخطيط المؤامرة. واستناداً إلى تصوير روسيتزكي للانقلاب في مذكراته يبدو أن هذه كانت القاعدة المتبعة في نقل معلومات الانقلاب إلى أي من المسؤولين الحكوميين القلائل الذين كان يجري إطلاعهم عنه بإيجازات. كما إن العبارة الأخيرة اعتراف ضمني على الأقل ببعض الدور الأمريكي المباشر في الانقلاب. ولهذا السبب صنفت العبارة كلها بوصفها من الأسرار حتى حزيران (يونيو) ٢٠٠٢ عندما رُفع الحظر عن كل العبارة باستثناء المفردتين الأولين، بناء على طلب مراجعة إلزامية قدم إلى إدارة الأرشيفات والسجلات الوطنية التي تُدير مكتبة كندي.

لم يعرف كومر أن بريطانيا أيضا كانت ضالعة، من خلال جهاز "MI 6 – MI 5 " أو "SIS"، ولكن لا يُعرف الكثير عن دورهم عدا تقديم وعد للمتآمرين بأن بريطانيا ستتخذ موقفاً ودياً ثم الوفاء بالوعد.

ويبدو أن كومر أستخدم اسم "المملكة المتحدة" لوصف تداخل أجهزة الاستخبارات البريطانية التي كانت تعمل في الشرق الأوسط في ذلك الوقت. وكان جهاز "6MI" قام فعلاً بتنسيب عملاء إلى وكالة المخابرات المركزية في انقلاب ١٩٥٣ في إيران، لأن عناصر المخابرات البريطانية كانوا كلهم أشخاصاً غير مرغوب فيهم مثلهم مثل سائر البريطانيين في إيران حينذاك. وكان لدى البريطانيين حكومات عميلة في البلدين على امتداد عقود، وبالتالي فان الوضع في العراق كان مماثلاً لنظيره الإيراني. ولعل تنسيب عملاء إلى وكالة المخابرات المركزية طريقة أخرى ساعدت بها بريطانيا في انقلاب ١٩٦٣ في العراق، ويفسر المعنى الكامن وراء استخدام كومر اسم "المملكة المتحدة"(٨).

إذا كانت مقتضيات البروتوكول الرئاسي تتطلب تقديم تقرير يومي لأهم أحداث الساعة الساخنة، بصورة مركزة ومختصرة.. فإن متطلبات العمل المخابراتي تستدعي التفصيل الدقيق لتلك الأحداث. وهذا ما تتحدث

---

(٨) وليام جي. زيمان، المصدر السابق، ص ٣٩- ٤٠.

عنه الوثيقة رقم (٣) التي أشار إليها الباحث زيمان، والتي يقول عنها : "هذه هي إحدى الرسائل التي أُرسلت، من قبل وزارة الخارجية إلى السفارة الأمريكية في بغداد، قبل أربعة أيام فقط من الانقلاب الذي أطاح بنظام الحكم في ٨ شباط ١٩٦٣، حيث كانت السفارة قد طلبت الإذن بأن تفعل شيئاً، حيال الاتهامات العلنية التي تصدر عن الزعيم قاسم، فكان رد وزارة الخارجية :" نفهم بأن الوضع في العراق مقلق، لكن ليس من الواضح بعد، بأي حال من الأحوال، أن العراق قد أخذ يتحول بالفعل إلى قاعدة سوفيتية"، ومع تأكيد رد الخارجية على حماية عملاء الـ(C.I.A.)، أردفت:" لا يمكننا أن نجزم بأن قاسم لن يُقدم على طرد ضباط عديدين .. وهو ما يتسبب بالتالي.. بإحداث قطع محتمل في عمليات مهمة تفيد في جمع المعلومات، وفي الحقيقة كانت المعلومات التي يتم جمعها جيدة، بحيث أن الـ(C.I.A.)، وحسب الموظف فيها "هاري روزيتسكي" تنبأت بحدوث الانقلاب بتفاصيله الدقيقة"(٩).

جدير ذكره أن إشارة الوثيقة أعلاه إلى إمكانية إقدام قاسم على (طرد ضباط عديدين) جاءت بعد يوم واحد فقط من طرد عبد الكريم قاسم ثمانين ضابطاً بعثياً وقومياً، وقبل يوم واحد فقط من إلقاء القبض على كل من

---

(٩) المصدر نفسه، ص ٥٥-٥٦.

عماش والسعدي، مما يؤكد الصلة الوثيقة التي تربط كبار البعثيين بوكالـة المخابرات المركزية، وتثبت دورهم المهم في تقديم المعلومات للوكالة، وأنهم سائرون في ركب أمريكا التي لا يكفون عن شتمها!!.

عن ذلك يروي د.علي سعيد كريم، نقلاً عن الشاعر مظفر النواب أن علي صالح السعدي طالبه، بعد إلحاح في اللقاء، بأهمية أن يصدّق عدداً من القضايا ، من ضمنها

:"إنه (أي السعدي) والخط القريب منه لم يكونوا إطلاقاً عل صلة بأية جهة أجنبية."

: إنه وبعد دقائق من (ثورة) رمضان اكتشف أنه وجماعته يسيرون دون إرادتهم بقطار ماكنة أمريكية .

: إنه قال عن قادة ١٧ تموز ١٩٦٨:"كلهم عندهم علاقة مع السفارة البريطانية ماعدا البكر الذي لا أعرف عنه شيئاً"[١٠].

وإذا ما صدّقنا – جدلاً – بما ذهب إليه علي صالح السعدي، وهـو الرمز الأول في حزب البعث يومئذٍ، فإنه ينطبق عليه القول المـأثور:كـان كالزوج المخدوع أخر من يعلم! على أن ذلك لم ينفِ التهمة عن قيـاديين

(١٠) د. علي كريم سعيد، المصدر السابق، ص ٢٩١.

بعثيين آخرين، ممن ارتضوا السير في ركاب القطار الأمريكي، وعلى بينة من الأمر.. بل يُثبت السعدي باعترافه الدليل الدامغ على علاقة بعض رفاقه في القيادة بوكالة المخابرات المركزية، ولا يستغرب إذا ما علمنا بأن عدداً من القياديين يجهلون حقيقة العلاقة مع وكالة المخابرات، فلعل مستلزمات الخطة توجب أن تظل العلاقة محصورة في نطاق ضيّق، خشية انكشاف الأمر.

من جهة أخرى، ربما يكون أمراً غريباً للجميع ،كما هو بالنسبة للعراقيين أن دعم الـ(C.I.A.) للانقلاب الذي قام به حزب البعث للإطاحة بنظام الحكم في عام ١٩٦٣ حقيقة لا يعلمها الأمريكيون تقريباً. فالحدث الذي غيّر مسار تاريخ العراق لعقود قادمة لم يرد له ذكر، كواحد من بين العمليات السرية العديدة التي قامت بها الـ(C.I.A.) في تلك الكتب التي ذكرت جميع تدخلات هذه الوكالة الأخرى ، التي حدثت بدءاً بأيام الحرب الباردة وما بعدها. والحدث غاب عن الذكر أيضاً في العديد من كتب التاريخ الأمريكية التي تدور عن العراق، كما يؤكد الباحث الأمريكي زيمان(١١).

ثمة، بالطبع، الكثير من الكتب والمقالات التي كتبت عن صدام حسين، وحزب البعث، والتاريخ العراقي الحديث منذ عام ١٩٥٨، ولكن قلة منها

---

(١١) وليام جي. زيمان، المصدر السابق،ص ٥٩.

فقط تأتي على ذكر التدخل الأمريكي السري في الفترة الممتدة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٣. ويعود شح المادة المتعلقة بنشاط وكالة المخابرات المركزية في المراحل الأولى من العراق الحديث إلى أن نشر مثل هذه المادة لم يكن مبعث ارتياح، سواء لعراق البعث أو للولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٣، حتى الوقت الحاضر. إذ أن حزب البعث كان يصور نفسه حزباً قومياً عروبياً مناهضاً للغرب ومعادياً لإسرائيل. ومن شأن تحالفه النفعي السري مع وكالة المخابرات المركزية سيئة الصيت أن يلحق ضرراً فادحاً بصورته في الداخل فضلاً عن صورته في عموم العالم العربي[١٢].

بعث هذا الأمر الإلهام داخل زيمان (رجل أعمال من كاليفورنيا بدأ بدراسة التاريخ الأمريكي عندما جاوز الأربعين من عمره)، كي يكرّس أطروحته للماجستير، لإثبات أن الوكالة كانت قد تدخلت في قلب نظام الحكم هذا، وأن الوكالة دفعت الأموال لأعضاء حزب البعث وموّلت عملياتهم .

"تورط الـ(C.I.A) كان كبيراً ، لكنه كان بشمولية أقل مما حدث في إيران عام ١٩٥٣، أو تشيلي عام ١٩٧٣"، يكتب زيمان. الموقف الرسمي للحكومة الأمريكية ما يزال في إنكار مطلق لحدوث الأمر هذا .

---

(١٢) المصدر نفسه، ص ٤.

وبعض عملاء الـ(C.I.A) الذين ما يزالون على قيد الحياة يـدّعون بأن الانقلاب على عبدالكريم قاسم واغتياله كان مفاجئاً تماماً بالنسبة لهم .

أما زيمان فقد كشف عن وثائق تُثبت عكس ذلك، رغم أن ما يربـو على المائة من الوثائق وأجزاء الوثائق التي تتعلق بهذه الفترة من تاريخ العراق ما تزال سرّية[١٣] .

في ضوء تحليل الوثائق، وتشخيص دواعي استمرار التستر على سريَة تلك الوثائق، رغم مرور نصف قرن على انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، فإن من الواضح أن تلجأ وكالة المخابرات المركزية إلى إخفاء هوية الانقـلاب، إلا بحدود ضيقة جداً، وللمعنيين في الأمر وحسب، في مراكز القرار الأمريكي، وذلك لضرورات تتطلبها خصوصية الحدث وحساسيته، وما يتمخض عـن إفشاء سر الانقلاب من تداعيات خطيرة تُلحق الأذى بالمصالح الأمريكيـة. وهذا ما يُفسر استمرار العديد من ضباط الوكالة المركزية على عدم البوح بأسرار الانقلاب وخفاياه، كما هو الحال مع "إدكاين" (مـدير مكتـب

---

(١٣) المصدر نفسه، ص٤٩، ما ينبغي الإشارة إليه هو أن الوثائق الحسلسة لا تُرفع عنها صفة السرية بشكل آلي ، ولا تصبح متاحة للجمهور والمؤرخين والصحافة حتى بعد مرور خمسين عاما، ولا يمكن الاطلاع على بعضها إلا بعد طلبات رسمية معقدة لمخاطبة الجهات المعنية!.

العراق في الـ(C.I.A))في واشنطن، الذي ما يزال ينكر بإصرار تورط الـ(C.I.A) في انقلاب عام ١٩٦٣[١٤].

كانت وكالة المخابرات المركزية ضالعة بصورة مباشر في محاولات اغتيال استهدفت عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٠، وربما حتى في عام ١٩٥٩، وجاء حزب البعث إلى السلطة في عام ١٩٦٣ بما سمّاه أحد وزراء حكومته " قطاراً أمريكياً". وما كان حكام البعث في العراق ليسمحوا باطلاع الرأي العام على هذه الحقائق، أو على تعاونهم مع الولايات المتحدة[١٥].

الولايات المتحدة أيضاً لم يكن لديها سبب للاعتراف علناً بتواطئها في إيصال حزب البعث إلى السلطة. فالعمليات الخفية، لاسيما الاغتيالات، عمليات سرية للغاية، وكثير من عملاء وكالة المخابرات المركزية والمسؤولين الرسميين الكبار لا يعرفون أو لا يصدِّقون أن الوكالة ضالعة في هذه العمليات، ويُستخدم التضليل المتعمد في الاجتماعات الرسمية بصورة روتينية لأغراض الحفاظ على السريّة، من خلال تحريف المحاضر وإيهام المسؤولين الكبار بأن وكالة المخابرات المركزية لا تلجأ إلى الاغتيالات أو

(١٤) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(١٥) المصدر نفسه ، ص ٤.

غيرها من الأعمال العنيفة. وجعل هذا الأسلوب في ممارسة" الدعاية البيضاء" على كل المستويات من الصعوبة بمكان إعادة بناء هذا التاريخ كما كان يُراد منه[١٦].

ويُفسَر هذا التوجه في اعتماد سياسة "الدعاية البيضاء" ما انتهجته وزارة الخارجية الأمريكية من مواقف شديدة الحذر، بغية عدم انكشاف التورط الأمريكي في عملية الانقلاب، والتظاهر بأنه مجرد شأن عراقي داخلي .

في الأيام التي أعقبت الانقلاب تحذر وثائق الحكومة من إقامة علاقة مكشوفة أكثر مما ينبغي مع الحكم الجديد. وفي مذكرة من السكرتير التنفيذي لوزارة الخارجية بروبك **Brubeck** إلى مساعد الرئيس الخاص لشؤون الأمن القومي يقول ماكجورج بندي **McGeorge Bundy**، في إطار عدم الانحياز، من المرجح أن يكون العراق راغباً في إقامة علاقات وديّة مع الولايات المتحدة. وينبغي أن يكون موقفنا موقف صديق وجوده معروف وموضع تقدير لكنه ليس وجوداً طاغياً. ويجب تفادي كل ما ينم

---

(١٦) المصدر نفسه

عن تدخل في شؤون العراق الداخلية. كما يجب أن نحرص على تجنب الإيحاء بأننا أنجبنا النظام أو نحاول الآن تربيته[١٧].

وعلى صعيد آخر، اتخذت وزارة الخارجية الأمريكية خطوة ، يبدو واضحاً أنها لم تخل من تأييد ودعم للقائمين بالانقلاب، فبحسب وثيقة أمريكية، وجهت الخارجية الأمريكية بعثاتها الدبلوماسية في الشرق الأدنى وبريطانيا، برقيات في الثامن من شباط ١٩٦٣ إلى ضرورة تطمين حكومات البلدان الموجودين فيها، بأن الحكومة العراقية غير "موالية للشيوعية"، وهي في "جوهرها بعثية وذات توجه قومي"، فضلاً عن ذلك أن تنصح بعثات الحكومات المعنية أيضاً، أن تتجنب التصريحات التي ربما تثير الأوضاع في العراق، في الوقت الذي أكدت فيه الخارجية الأمريكية على أن النظام العراقي الجديد ليس من المناصرين لجمال عبد الناصر[١٨].

كانت الأوامر إذن مشددة من قبل وزارة الخارجية الأمريكية، وهي تمنع بعثاتها الدبلوماسية من الخوض في طبيعة العلاقة مع قادة الانقلاب. ولقد توجّس بندي من "الإيحاء بأننا أنجبنا النظام" له مغزاه، ولعله كان

---

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٤١.

(١٨) د. سنان صادق الزيدي ،المصدر السابق ،ص ٢٦.

يعرف أن الولايات المتحدة حقاً أنجبته، أو بتعبير أدق كانت القابلة المأذونة في إنجابه .

تبين هذه الوثائق وجود علم بضلوع الولايات المتحدة في الانقلاب، ولعل الثمن الذي دُفع لها عقب الانقلاب مقابل دعمها كان يتعارض مع مشاعر الرأي العام العراقي والعربي، وبالتالي فإن من الحكمة توخّي الحيطة. ورغم الدقة في التخطيط الأمريكي والحرص على اتخاذ "الموقف" المناسب فإن الولايات المتحدة بدعمها المستمر لإسرائيل ولحكام مسلمين موالين للغرب يعدون فاسدين بنظر شعوبهم، وجدت نفسها هدفاً لمزيد من سخط الشارع العربي[١٩] .

في هذا الجو، ارتأت الإدارة الأمريكية أن تنأى بنفسها عن أي موقف علني يُشم منه وجود صلة بينها وبين الانقلاب، وذلك لمصلحة الطرفين. غير أن هذا التستر الظاهري يأتي من باب ذر الرماد في العيون، يُقابله – في الوقت نفسه – نشاط مُكثّف لتوطيد العلاقة السريّة، وإرساء دعائم النظام الجديد . عبر تقديم كل المساعدات الممكنة، وعلى كافة الأصعدة..

---

(١٩) وليم جي. زيمان، المصدر السابق، ص٤١.

بهذه الإستراتيجية المزدوجة تمكنت الخطة الأمريكية أن تشق طريقها صوب الهدف المنشود. وهكذا أدّى نجاح انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣ إلى إقامة عهد جديد في تاريخ العراق المعاصر، وتبعاً لذلك دخلت علاقات العراق الخارجية، بما في ذلك علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، مرحلة جديدة أيضاً.

وفي الأحوال كافة، تطلع دين راسك (Dean Rusk) وزير الخارجية الأمريكية إلى مستقبل أفضل للعراق، بعد مقتل عبد الكريم قاسم. وقد أوضح الوزير الأمريكي رؤيته للعراق من خلال مذكرته إلى الرئيس كنيدي في التاسع من شباط ١٩٦٣، تلك المذكرة التي ورد فيها ما نصه: "إن النظام الجديد هو أفضل وأحسن من نظام عبد الكريم قاسم الذي لديه القليل من الأصدقاء في داخل العراق وخارجه"، وقد توقع أن يكون توجه الحكومة العراقية قومياً مع ميل قوي للوحدة العربية، وأن يكون قادة الانقلاب "مناوئين للشيوعية" كما ورد في مذكرته. ويبدو ضرورياً الإشارة هنا إلى أن ما كان يهم واشنطن، في هذا المضمار، يتعلق بنشاط الشيوعيين في العراق عموماً، فقد كانت الولايات المتحدة تحسب لهم حساباً استثنائياً

لأسباب معروفة، ولا سيّما في منطقة ذات أهمية إستراتيجية مثل العراق[٢٠].

واستناداً على ما تقدم، وجب على صانعي السياسة الأمريكيين في وزارة الخارجية الأمريكية مناقشة الاعتراف المبكر بالانقلاب العراقي بصورة عاجلة في ظل الحرب الباردة، وهو ما كان من شأنه منح القائمين بالانقلاب قوة إضافية لتثبيت أركان حكمهم، لذا دعا راسك في مذكرته نفسها، الرئيس كيندي إلى الاهتمام بمنح اعتراف مبكّر للنظام العراقي الجديد، فضلاً عن منحه هو نفسه - بصفته وزيراً للخارجية - صلاحية مؤقتة للاعتراف، وأكد للرئيس أيضاً أن وزارته وجّهت القائم بالأعمال الأمريكي في بغداد ملبرون (Melbroune) بنقل مقترحات ودّية من الإدارة الأمريكية إلى القيادة العراقية الجديدة، في حال إقتناعه بسيطرتهم سيطرة شديدة على البلد كله، مع العلم أن وثيقة أمريكية منشورة أشارت فعلاً إلى أنه تم نقل معيار الأعتراف الأمريكي بالنظام العراقي الجديد إلى قادته في اليوم نفسه. ويتطابق ما نحن بصدد معالجته مع ما تؤكده الوثائق البريطانية المنشورة، وهو أن الحكومة العراقية تلقّت الرسالة الأمريكية بارتياح كبير، ففي لقاء جمع السفير البريطاني روجر ألن (RogerAellen)

---

(٢٠) د.سنان صادق الزيدي، المصدر السابق،ص٢٧.

مع طالب شبيب وزير الخارجية العراقية في العاشر من شباط ١٩٦٣، أكد الأخير لزائره البريطاني، أنه تلقى رسالة من السفارة الأمريكية ببغداد بهذا المعنى المذكور آنفاً.

وفي السياق نفسه، توقع دين راسك في مذكرته إلى الرئيس كيندي، أن تسعى المملكة العربية السعودية إلى إقناع الساسة الأمريكيين بتأجيل الاعتراف بالحكومة العراقية الجديدة. ولم تكن توقعات الوزير الأمريكي راسك دقيقة إلى حد ما، فقد اعترفت الرياض بالحكومة العراقية الجديدة حتى قبل اعتراف واشنطن بها . مع ذلك ، أوضح راسك للرئيس كيندي أن الفائدة من الاعتراف المبكر بالحكومة العراقية الجديدة مرهونٌ بالظروف الجديدة التي طرأت على الشرق الأوسط. وتكشف المذكرة نفسها دعوة راسك إلى تعيين سفير جديد لواشنطن في بغداد، مُذكراً الرئيس كيندي أن سحب السفير الأمريكي السابق جون جيرنيكان (John Jerngan) كان بناءاً على رغبة الحكومة العراقية السابقة في حزيران ١٩٦٢[٢١].

على هذا النحو، فاتح ملبرون القائم بالأعمال الأمريكية وزير الخارجية العراقية طالب شبيب في العاشر من شباط ١٩٦٣ برغبة بلاده بالاعتراف المبكر بالحكومة العراقية الجديدة، في حال تأكيد الأخيرة العلني لها، أنها تنوي

---

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٢٨.

تنفيذ التزامات العراق الدولية، وأنها تتعهد بالمحافظة على أرواح ومصالح الرعايا الأمريكيين في العراق، فضلاً عن إتّباع العراق"سياسة خارجية تتسم بعدم الانحياز" كما ورد في نص برقية ملبرون إلى وزارة خارجية بلاده. وتؤكد المصادر العراقية أن طالب شبيب وزير الخارجية العراقية و وكيله قد عرضا الإطار العام للسياسة العراقية الجديدة على الصعيدين العربي والدولي، طبقاً لما أعلنه البيان الأول للانقلاب، حينما قابلا رؤساء البعثات الدبلوماسية لعدد من الدول العربية والأجنبية في بغداد، ومن ضمنهم القائم بالأعمال الأمريكي .

يقول د.سنان صادق الزيدي :"وإذا ما أُخذ بالحسبان جميع الظروف السائدة آنذاك، بما فيها ظروف العلاقات الدولية وظرفا الزمان والمكان، فينبغي علينا تقديم موقف واشنطن تجاه التطورات الداخلية في العراق، بعد الثامن من شباط ١٩٦٣، بصورة صحيحة، فقد انصب اهتمامها في هذا المضمار على وضع حد "للنفوذ الشيوعي" في العراق، في ظل الحرب الباردة مع الإتحاد السوفيتي وتناسب القوى الدولية. من هنا كان بوسع الولايات المتحدة الأمريكية تحديداً أن تؤدي دوراً مؤثراً في التطورات التي شهدتها المنطقة عموماً، والعراق خصوصاً" (٢٢).

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩.

لأسباب تتعلق بطبيعة الأوضاع الداخلية في العراق تصدرت أولويات الدور الأمريكي المؤثر، في التطورات التي شهدها العراق، مسارعة وكالة المخابرات المركزية إلى تأمين الساحة، بعد الانقلاب وإعدام عبد الكريم قاسم..، وأصبح من الحيوي ألاّ يُسمح سوى للفئات التي تحظى برضى وكالة المخابرات المركزية بملء فراغ السلطة، وكان الحل الذي جُرب مراراً من قبلُ بسيطاً :فقد أعدت وكالة الإستخبارات المركزية قوائم بأسماء الأشخاص الذين تجب تصفيتهم لضمان ألاّ تتمكن جماعات السلطة السابقة من إعادة تنظيم صفوفها، وأُرسلت فرق قتل أشرفت وكالة الإستخبارات المركزية على تنسيق عملها لتنفيذ مهماتها الوحشية، بينما كان المخططون الأميركيون يتابعون التطورات بارتياح[٢٣] .

منصفون يخرقون جدار الصمت

ولئن بقيت الدوائر الأمريكية تتستر على مذابح الانقلابيين المرعبة، حتى يومنا هذا، وكأن الأمر لا يعنيها ،فقد انبرى كاتب غربي منصف (جيف سيمونز) ليُميط اللثام عن بعض الانتهاكات التي شهدتها حقبة البعث

(٢٣) جيف سيمونز ،عراق المستقبل - السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط ، ترجمة سعيد العظم ،دار الساقي ، بيروت ،٢٠٠٤ ،ص٢٩٧.

الأولى، إذ يقول :"كانت فرق القتل تنتقل من بيت إلى بيت لتفذ عمليات الإعدام حيث تعثر على الضحايا، وكان الضحايا في أحيان كثيرة يلقــون تعذيباً رهيباً قبل قتلهم. وكان بين الضحايا نساء حوامل ورجال من كبـار السن عُذّبوا أمام أفراد أُسرهم، وكذلك سبعة من الأعضاء الثلاثة عشر في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. وشبّهت اللجنة البريطانية لحقوق الإنسان في العراق فرق القتل هذه بــ"قوات الصدم الهتلريــة". وأُعــدَت قوائم الاستخبارات المركزية بأسماء الأشخاص المنوي تصفيتهم في القــاهرة وبيروت ودمشق، بمساعدة لاجئين عراقيين وسواهم. وكان صدام حســين واحداً من عراقيين عديدين متحمسين لإضافة أسمــاء إلى قــوائم القتــل الأمريكية. وقد حققت تهديدات عبدالكريم قاسم للكويت بعض النجاح، إذ أُتفق آنذاك على إقامة إتحاد فيدرالي عراقي - كويتي له جيش واحد، وعلى أن تترك الكويت للعراق تصريف شؤون سياساتها الخارجية، والإشــراف على بعض أُمورها المالية. لكن الانقلاب أزاح هذا التهديد للمصالح الغربية، ثم ساهمت عمليات القتل الجماعي التي أعقبت الانقلاب، وشــارك فيهــا صدام حسين في تشديد قبضة الغرب على منطقة الخليج. وقد عاد صــدام حسين في تلك الفترة من منفاه في القاهرة إلى بغداد. وتقول بعض الروايات

أنه أشترك شخصياً في تعذيب خصومه السياسيين في عدّة سجون، ولم تهتم واشنطن بمثل هذا التصرف[٢٤].

وليت الأمر يقف عند حد التغابي عما كان يجري في العراق، بل كانت الولايات المتحدة – كما يؤكد سيمونز– سعيدة بانتهاج مسار للأحداث يُثبت قدمي صدام حسين على الطريق إلى السلطة. وتحججت واشنطن هنا أيضاً كما في جرائم أمريكية كثيرة ضد الإنسانية، بالخطر الشيوعي كأحد أسبابها[٢٥].

وتمثّل الأسلوب الأميركي الذي أُقتبس لاحقاً في مختلف أرجاء العالم بشن هجوم كاسح على جميع الفئات السياسية التي تُعتبر مُناوئة للمصالح الغربية وشملت هذه الحملة التصفية الجسدية لأعضاء الحزب الشيوعي العراقي وجماعات مُتعددة أخرى[٢٦].

وعلّق سعيد أبو ريش الذي كان مُستشاراً لعدّة حكومات عربية بقوله: "يظل عدد الأشخاص الذين تمت تصفيتهم غامضاً، وتتراوح التقديرات بين ٧٠٠ و٣٠ ألفاً. وعند تجميع أقوالٍ مختلفة لعراقيين في

---

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٨.
(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦.
(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٩٧.

المنفى يُستنتج رقم هو أقرب إلى ٥٠٠٠ .وقد تمكنتُ من جمع أكثر من ٦٠٠ اسم بقليل من الجهد [٢٧].

وضمت لائحة العراقيين المقتولين رجالاً ونساء عاديين كثيرين واصلوا المقاومة بعد الانقلاب، كما ضمّت نخبة كبيرة من المثقفين العراقيين (محامين؛ معلمين؛ ضباط جيش كبار؛ أساتذة جامعيين؛ أطباء وغيرهم)، أي كل من أعتبره مسؤولو وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية وقادة الانقلاب، تهديداً مُحتملاً للنظام الجديد والمصالح الغربية[٢٨].

على إثر هذا التطور في موقف الولايات المتحدة الأمريكية الايجابي المبكر تجاه الانقلاب العراقي، بادرت بريطانيا الحليف القوي لواشنطن وصاحبة المصالح المُتشعبة في العراق، في تلك المرحلة، إلى توحيد موقفها مع واشنطن بغية التنسيق في سياستهما تجاه العراق .فقد التقى السفير البريطاني في واشنطن، روبرت سترونغ (Robert Strong) مدير مكتب الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركية في التاسع من شباط ١٩٦٣، وأكد الأخير لزائره البريطاني تُطابق وجهات نظرهما تجاه التطورات السياسية الجديدة في العراق، وفيما يخص الاعتراف الأميركي بالنظام العراقي الجديد،

---

(٢٧)نقلاً عن المصدر السابق ،ص ٢٩٧.

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢٩٧.

أكد المسؤول الأميركي أن حكومته تُفضل الاعتراف المبكر على عكس المنهج السابق للإدارة الأميركية، وهو الانتظار لحين اعتراف الدول العربية، والغاية من ذلك - والكلام لسترونغ - "لكي لا يُعطوا الانطباع للرأي العام أن واشنطن كانت وراء قادة الانقلاب الجديد"، فضلاً عن ذلك أنها تسعى إلى تعزيز اتصالاتها مع حكومات تركيا والأردن وإيران وسوريا للاعتراف المبكر بالحكومة العراقية الجديدة. وفي الاطار نفسه، أعلمت الإدارة الأمريكية السفارة البريطانية في واشنطن في العاشر من شباط ١٩٦٣ رغبتها في الاعتراف بالحكومة العراقية الجديدة في الحادي عشر من شباط ١٩٦٣ (٢٩).

بكل الحسابات، لا يمكن اعتبار هذا التوحد - إلى حد التطابق - في الموقفين الانكلو - أمريكي، حيال الانقلاب مجرد تطابق في الرأي وحسب، بل يقودنا إلى ما هو أبعد من هذه النتيجة ، ألا وهو الضلوع في المخطط، مع الحرص على تقاسم الأدوار، بين كل من المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات البريطانية صاحبة الباع الطويل في العراق، والتي ليس بوسع وكالة المخابرات المركزية الاستغناء عن التجربة العريقة والخبرة الواسعة اللتين تمتلكها المخابرات البريطانية، بل لا يتسنى لوكالة المخابرات المركزية

---

(٢٩) د.سنان صادق الزبيدي ،المصدر السابق ،ص ٣٠.

الزهد بكل هذا الإرث المخابراتي البريطاني. إن هذه الحقيقة توجب التوقف إزاء الدور البريطاني الخفي في اللعبة. وإن بدا هذا الدور شريكاً ثانوياً أو على الهامش!.

الدور البريطاني

منذ سقوط الملكية، في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨، والعلاقات بين بريطانيا والعراق تنحدر إلى التدهور. ولم تنفع كل المحاولات الغربية لتدجين الزعيم عبدالكريم قاسم ، وأخفقت كل المحاولات الرامية إلى إعادته إلى "بيت الطاعة" أو لاحتوائه، كما باءت كل الجهود بالفشل الذريع لثنيه عن إنتهاج سياساته الوطنية التي تُعزز استقلال العراق، وإبعاده عن هيمنة القوى الكبرى ونفوذها ومصالحها .

ولما تيقنت بريطانيا أن الزعيم قاسم أصبح يُشكل خطراً على مصالحها في المنطقة، اتخذت أساليب مختلفة للتأثير عليه، وتطلبت مصالحها دعم أية حركة سياسية معارضة لنظامه وموالية للغرب، وتمتثل لسياسة بريطانيا في العراق والمنطقة .

في ضوء ما تقدم، ولاعتبارات مصالح بريطانيا تابعت الخارجية البريطانية من خلال سفاراتها المعتمدة في المنطقة تقصي الشأن العراقي

الداخلي، وما يُثار حوله في الأوساط السياسية الرسمية من آراء وتكهنات، بغية رسم سياسة مشتركة لشكل النظام السياسي المُقبل في العراق. فالمعلومات الواردة من السفارة البريطانية بالعاصمة الاردنية عمان، كانت تؤكد على احتمال قيام انقلاب داخل العراق. فقد ذكرت وثيقة بريطانية أن شعوراً قوياً ساد في الدوائر السياسية الرسمية الأردنية بأن "ضربة حاسمة ستؤدي إلى سقوط وإنهاء حكم عبد الكريم قاسم". وكان اعتقاد الأردنيين أن الضربة ستأتي على يد "القوميين العراقيين" ، الذين يُعلّق البريطانيون عليهم آمالاً كبيرة في تغيير النظام(٣٠).

في الوقت نفسه، كانت السفارة البريطانية ببغداد تعمل باتجاه توثيق علاقاتها بـ" مجموعة الشباب"، ذوي الميول القومية المعتدلة "الموالين للغرب"، حسبما أفادت به وثائق بريطانية لاحقة ، وفي حينها أكد ألين في رسالته للخارجية البريطانية في الحادي والثلاثين من كانون الأول ١٩٦٢ ، أن مصادر اتصاله بـ"مجموعة الشباب" قد أطلعته بشكل مُفصّل على خطة انقلابهم المُزمع القيام به ضد النظام. ويبدو من خلال رسالة ألين أن مجموع المؤامرات التي كان الزعيم قاسم يُنوه عنها، وغالباً ما كان يتهم فيها سفارتين غربيتين الأمريكية والبريطانية، لم يكن مخططوها لا في شان التخطيط

---

(٣٠) د.طارق مجيد العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة في العراق - التيار القومي والطائفية السياسية ، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ، بغداد ،٢٠١٠،ص٧٠.

لمؤامراتهم، ولا في شأن الأفكار التي امتلكوها عمّن سَيخلُف قاسم في الحكم، موضع قبول روجر وإقناعه ،فقد شكك بجميع أولئك "المتآمرين" المترددين في عملهم باستطاعتهم أن يحققوا نجاحاً يُذكر .غير أن ألن كان مقتنعاً بخطة الشباب، إذ قال في هذا الشأن "تم التأكيد لنا بأن الخطة قد تمّ وضعها تفصيلياً بشكل جيد، وأن الأسماء المقررة للمناصب الرئيسة قد تم إختيارها". ولضرورات احترازية وأمنية امتنعت مصادر ألن أن تزوده بالأسماء المشتركة بالانقلاب المرتقب. فقد قدّر الين الحس الأمني العالي الذي حمله الشباب والمصادر المتصلة بهم، وعدَّ ذلك ضرورياً في تلك المرحلة الحساسة والحرجة. ومع ذلك ذكر بأنه يحتفظ بالبعض من أسماء أولئك الشباب، وفي شأن التمويل المالي لمجموعة الشباب يبدو أنهم كانوا يُعانون من شحة التمويل، الذي أعاق تحركهم على نحو فاعل وسريع، فقد تعهد السفير ألن ببذل جهوده لتذليل هذه العقبة .

والحق كان حزب البعث في تلك الحقبة من أكثر القوى القومية في العراق مناهضة لنظام عبدالكريم قاسم؛ فقد سعى إلى إيجاد تحالف مع القوى الأخرى القريبة من أهدافه ومبادئه، المتمثّلة في قوى الحركة القومية العربية وأحزابها وإن أختلف معها في المنهج وأساليب العمل الحركي[٣١].

---

(٣١) المصدر نفسه ، ص ٧٢.

بيد أن الجبهة القومية لم تستمر طويلاً، إذ سرعان ما انفرط عقد تحالفها، تحت وطأة مصالح المتحالفين، الناشيء في الأساس عن اختلاف مصادر دعمهم وإسنادهم(٣٢). لأجل ذلك أخذ حزب البعث على عاتقه المُضي في تنفيذ المهمة منفرداً، فأسس المكتب العسكري الذي كانت مهمته تنسيق النشاط العسكري وشؤون الحرب الأهلية، ووضع خطط الإطاحة بنظام الحكم، إلا أن المهمة الرئيسة للمكتب كانت ضمن بقاء حزب البعث مسيطراً على الحكم بعد الانقلاب .

ولما كان من غير الموفق – في الحسابات العسكرية – الاعتماد على قلّة من البعثيين بين ضباط الجيش، في الوقت الذي بقيت فيه المركز الحساسة في الجيش بأيدي غير البعثيين. فإن قادة حزب البعث على ما يبدو قد أعادوا النظر في إستراتيجيتهم بإسقاط النظام. فقد وجدوا بعد أن عجزت وسائلهم بإسقاط عبدالكريم قاسم أن أحد أهم الشروط الموضوعية في الوصول إلى السلطة، خلال تلك المرحلة، يأتي بدعم السفارة البريطانية ومساندها، لأنها قد تمكنت من اختراق الأجهزة الأمنية في حكومة الزعيم قاسم، مما يُسهل

---

(٣٢) المصدر نفسه ، ص ٧٣ ، وللمزيد تُراجع مذكرة صبحي عبد الحميد التي أعدها عن دور الضباط القوميين ، وكذلك مذكرة عبد الكريم فرحان التي يُشير فيها إلى التباين بين التوجهين القومي والبعثي والأساليب الرخيصة التي كان يتبعها التوجه الثاني..في (تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري) الجزء الخامس، بغداد ،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص ٤٧١ ،٤٨٣ .

لهم الحصول على معلومات إستخبارية وأمنية تفيد تحركهم بسهولة. إذ من المؤكد أن بعض عناصر أجهزة الأمن العراقية كانت على صلة وثيقة بالسفارة البريطانية، فقد ظهر تنسيق واضح بين عدد من الضباط والمدنيين البعثيين أعضاء المكتب العسكري وبين سفارة الولايات المتحدة الأمريكية ببغداد وعناصر من المخابرات المركزية من جهة، ومن جهة أُخرى بين أولئك الأعضاء وبين السفارة البريطانية ببغداد، لتزودهم، مثلما يبدو، بالمعلومات الأمنية والاستخباراتية التي كانت السفارة تحصل عليها من مصادر أمنية رسمية متعاونة معها، إذ من المؤكد أيضاً أن عبد الكريم قاسم لم يكن على علم بأن بعض قيادات أجهزته الأمنية كانت على ارتباط ودي مع أعضاء السفارة البريطانية، فقد عدّ أحد التقارير الصادرة عنها ، أن مدير أمن بغداد، ياسين درويش، من أفضل الشخصيات التي تعاملت السفارة معهم ، فقد كان "يُبدي تحرره من القيود الرسمية في أحاديثه مع المسؤولين كلما أُتيحت له مناسبة في زيارة لندن". ولذلك كان التقرير يصفه "بأنه ضمانة لهم في بغداد خلال الأوقات العصيبة التي ستأتي مُستقبلاً"(٣٣).

---

(٣٣) د. طارق مجيد العقيلي ، المصدر السابق ،ص ٧٦.

مهما كان الأمر، فإن المصالح البريطانية تطلبت الاهتمام والتشاطر مع وجهات نظر الأمريكيين في شأن التخطيط للإطاحة بنظام عبدالكريم قاسم، فقد كان الرأي المُتفق عليه بينهما إيجاد نظام بديل يتبنى الاتجاهات القومية ،وفي السياسة الخارجية ينتهج سياسة متوازنة ترعى المصالح الغربية. وعليه فقد تبادلت السفارتان البريطانية والأمريكية المعلومات المتعلقة بخطط الانقلاب . وفي ضوء خطط الانقلاب كان الاحتمال الأكثر ترشيحاً، سقوط النظام بمدة زمنية قصيرة، ولاسيما أن الأوضاع الداخلية المتردية كانت تُشجع على الإسراع بتنفيذ الانقلاب، فقد وضعت أجهزة المخابرات البريطانية وبالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ملفاً أمنياً ضمَّ تقارير وخططاً – لم يُكشف عنها – عن العواقب المحتملة التي ستواجه بريطانيا وحلفائها الغربيين في المنطقة، التي سترافق تنفيذ عملية الانقلاب، أو بعد نجاحه أو في حالة فشله. في الوقت نفسه، يظهر وبالاستناد إلى الوثائق البريطانية أن السفير البريطاني كثّف اتصالاته بالضابطين صالح مهدي عماش وحردان التكريتي ، الموصوفين في برقية لاحقة للسفير ألن في التاسع من شباط ١٩٦٣ إلى الخارجية البريطانية "بأنهما صديقان". ففي شأن الأول وصفته البرقية بأنه "متآمر نشط وذكي"، والقاسم المشترك الذي جمع الأثنين "أنهما معاديان للشيوعية"، وأنهما "ميالان إلينا ووديان معنا". المهم في الأمر،

أن السفير بقي على اتصال معهما حتى وقت قريب من موعد الانقلاب[٣٤].

واستكملت السفارة البريطانية ترتيباتها مع أحمد حسن البكر الذي عدّه السفير ألين صاحب "سجل بالتآمر"وله "ميول بعثية". ومع ذلك، فهو في تقويم تقرير بريطاني لعام ١٩٥٨، إنه "كان مُرتبطاً بمصالح معنا وودوداً "لكنه متردد في اتخاذ بعض القرارات المهمة". وبغية كسب تعاطف القوى القومية الأخرى في دعم الانقلاب المرتقب، تركز التفاهم مع البكر على الانقلاب يجب أن يكون الإعلان عنه، في بداية الأمر، قومياً وليس بعثياً[٣٥].

إذن كان التفاهم قد جرى أن يكون الإعلان عن الانقلاب قومياً، ولكن ليس بالضرورة أن توافق بريطانيا على أن ينفرد القوميون الناصريون لقيادة الانقلاب وحدهم فقط. فقد نقل عما أفادت به وثائق الدبلوماسية البريطانية بأن أهم اتصال أجرته السفارة البريطانية ببغداد مع البكر وعماش، في الرابع والعشرين من كانون الثاني **١٩٦٣** أبلغتهما فيه، أن بعض الكتل القومية وبالاتفاق مع حركة القوميين العرب سوف ينفذون

---

(٣٤) المصدر نفسه ،ص ٧٩-٨٠ .

(٣٥) للوقوف على مصادر الوثائق السرية البريطانية ينظر المصدر السابق ،ص ٨٠.

عملية الإطاحة بالنظام في الأسبوع الأخير من شباط ١٩٦٣ . وبالاستناد إلى الوثائق نفسها ذُكر بأن حزب البعث سارع إلى انتداب أعضاء من المكتب العسكري هم؛ صالح مهدي عماش، وعلي صالح السعدي وعدنان القصاب ببحث المستجدات الأخيرة مع السفارة البريطانية، لوضع خطة محكمة للانقلاب لعلها آخر خطة تمَّ الاتفاق عليها. وقد تمَّ اللقاء بمبنى السفارة البريطانية مساء يوم السابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٦٣ . حيث وضع هورد. هـ. أستيفن أحد موظفي السفارة البريطانية، خطة وموعداً لتنفيذ الانقلاب، وأشار عليهم بضرورة إعداد الجناح المدني لحزب البعث، وتجهيزه بالأسلحة الرشاشة نوع بورسعيد المصرية الصنع، ونزولهم إلى شوارع المدن الرئيسة، حال سماعهم البيان الأول للانقلاب من إذاعة بغداد. وفي الشأن نفسه، ذكر أن البكر طلب من عماش في الثلاثين من كانون الثاني، الاتصال بالسفارة البريطانية، لتحديد موعد له مع المسؤولين في السفارة لغرض مناقشة تفاصيل الخطة[٣٦].

أخضعت السفارة البريطانية تطورات الوضع السياسي الداخلي في العراق لدراسة مُكثفة مع سفارة الولايات المتحدة الأمريكية، فبعد لقاء السفير البريطاني والقائم بالأعمال الأمريكي، في أواخر كانون الثاني

---

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٨١-٨٢.

١٩٦٣، خلص السفير البريطاني إلى اعتقاد مفاده "إن قاسما هزه اكتشاف مؤامرة تحاك ضده من البعثيين الموالين لعبد الناصر داخل الجيش"، مّما دفع قاسم إلى تهديد ضباط الكتيبة الرابعة، خلال اجتماعه بهم، بكشف أسماء المتورطين منهم بالمؤامرة، وإحالتهم للمحاكم العسكرية. ومع اكتشاف قاسم للمؤامرة الأخيرة، إلاّ أن السفير البريطاني بات مُقتنعاً أن قاسم "على حافة الهاوية، ولا يحتاج إلى أكثر من مجرد تغيير بسيط أشعر به في الجو، ربما سوف يأتي قريباً وبشكل مُعترف به"، وبدا الزعيم في قناعة السفير البريطاني قد "فقد القدرة على فعل شيء على الإطلاق ولا يستطيع إدارة الموقف".

في ضوء تلك القناعات التي توصل إليها السفير البريطاني مع قرينه الأمريكي، وما قد يحصل من تطورات ، وتأثيرها على سير عملية تنفيذ الانقلاب، بعد اعتقال السلطات الأمنية ،صالح مهدي عماش في الخامس من شباط١٩٦٣، ذكر الناهي بأن البكر التقى في ليلة الرابع من الشهر نفسه مع عدد من المسؤولين في السفارة البريطانية، وأبلغهم بما استجد من أحداث. وعلى وفق ذلك حددت السفارة ساعة الصفر للانقلاب، ووضعت خطط لعرقلة دفاعات عبد الكريم قاسم .

وأياً كانت الجهة التي قررت ساعة الصفر للانقلاب سواء كانت السفارة البريطانية أم قادة الانقلاب أنفسهم، فإن تسارع الأحداث ،مثلما يبدو، قد فرضت على مخططي الانقلاب التعجيل بتعيين اليوم والساعة

المحددة لتنفيذ الحركة الانقلابية"[٣٧] إذ باغت منفذو الانقلاب والمخططون له عبدالكريم قاسم، في الثامن من شباط، للحيلولة دون وقوع أي احتمال متوقع، لكن يبقى أن نُشير – يقول د.طارق مجيد العقيلي– إلى شأن ارتباط عناصر معينة من حزب البعث بالاستخبارات الأمريكية والبريطانية، ليس بما ورد في الوثائق البريطانية فحسب، وإنما إلى أحد أسباب انسحاب أمين سر حزب البعث الأسبق (فؤاد الركابي)، في الرابع والعشرين من حزيران ١٩٦١، فقد اتهم الركابي رفاقه في القيادة القومية للحزب بإقامة اتصالات مع الاستخبارات البريطانية. وتأكيداً لرأي الركابي (فقد اعترف بعد مرور تسعة وثلاثين عاماً على انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣) عارف عبد الرزاق المحسوب على التيار القومي، وبوصفه أحد المشتركين في الانقلاب بأن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية كانتا وراء الانقلاب، وقدمتا لنظامه دعماً كبيراً"[٣٨].

---

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٨٣.
(٣٨) المصدر نفسه، ص ٨٦.

وعلى خلفية افتقار قادة الانقلاب إلى أية تجربة في الحكم ،فضلاً عن كون الأعم الأغلب منهم مجهولين في الأوساط العراقية، ولا يتمتعون إلا بالنزر اليسير من الشعبية التي يتمتع بها عبدالكريم قاسم.. فقد بات واضحاً لدى الانقلابيين أن نجاح نظامهم الجديد واستمراره في حكم العراق – مثلما هو الظاهر – مرهون باستمرار الدعم البريطاني له؛ فقد وضعت الخارجية البريطانية في برقيتها السرية في العاشر من شباط لسفيرها ببغداد الخطوات والضوابط الواجبة عليه إتباعها مع الحكومة العراقية بما يتعلق بمسالة اعتراف بريطانيا بها، وأيضاً الشروط المفروضة والواجبة على الحكومة العراقية تنفيذها، فيما إذا أرادت الاعتراف البريطاني، وتحقيق مصلحتها في الاستمرار في الحكم. وبغية تشكيل الموقف النفسي الضاغط على قادة الانقلاب أوصت الخارجية البريطانية سفيرها ببغداد أن يُجري لقاءات "ودّية غير رسمية" مع أقطاب النظام الجديد، لكي لا يترتب على مثل تلك اللقاءات أي التزام أو تعهد رسمي يُلزم الحكومة البريطانية تنفيذه(٣٩).

إن أهم ما كانت توده الخارجية البريطانية، في ذلك الوقت ،قبل الإسراع بأي اعتراف، هو استشارة أصدقائها وحلفائها، وأن "تكون شروط

---

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٧.

الاعتراف قد نُفذّت". وعليه كانت أهم التوجيهات التي ألزمت الخارجية البريطانية سفيرها في بغداد أن يتقيّد بها هي استشارة "أولئك الأصدقاء الأكثر ارتباطاً مع المملكة المتحدة بمصالح سياسية مشتركة"، وأن يكتب لها السفير فيما إذا كانت شروط حكومة صاحبة الجلالة عن الاعتراف قد نُفذّت"(٤٠).

بيد أن استشارة السفير ألين للأصدقاء لا يمكن أن تأتي على وفق اجتهاده الخاص به، وإنما تأتي في ضوء ثوابت السياسة البريطانية السرية التي تعاملت بها مع القوى السياسية، وحكومات منطقة الشرق الأوسط، التي وضع نقاطها وزير خارجية بريطانيا الأسبق آرنست بيفن في تعميمه المحدود النشر – مثلما يبدو– في الثاني عشر من حزيران ١٩٥٠(٤١).

في خضم الأحداث المتلاحقة يومئذٍ، وبسبب حاجة النظام الجديد الملحة للاعتراف البريطاني، فقد أقر وزير خارجية الانقلاب طالب شبيب بالمصالح البريطانية، لأنها منسجمة وفهم النظام لهذه المصالح، لاسيما وأن

---

(٤٠) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
(٤١) يعلّق الباحث د.العقيلي على مدى السريّة المُشددة لهذه الوثيقة البريطانية وأخرى غيرها ذات علاقة بالموضوع، فيقول :" يبدو إن كلا التعميمين غاية في السريّة، ولم تكشف برقية وزارة الخارجية البريطانية عن تلك الثوابت، كذلك لم يوفق الباحث في العثور على هذين التعميمين، رغم الجهود المبذولة في هذا الشأن"، المصدر نفسه، ص ١٠٩.

العديد من قادة الانقلاب لهم علاقات مؤكدة مع البريطانيين ،مثلما مر بنا[٤٢]، وكان طالب شبيب نفسه في مقدمة أولئك الذين لهم علاقة وطيدة بالمخابرات البريطانية، منذ كان يتلقى دراسته في لندن أواخر الخمسينات.. وله علاقة مماثلة مع المخابرات الأمريكية اتضحت لقياديين بعثيين، أثناء التحضير لمحاولة اغتيال عبد الكريم قاسم .

على هامش اللقاءات بين وزير خارجية الانقلاب طالب شبيب والسفير البريطاني جورج ألين، رصد الباحث الجاد د.طالب العقيلي ثلاث حلقات يُحيط بها الغموض ليس بينها ترابط، وتفتقر إلى السياقات الطبيعية في العلاقات السياسية :

الأولى؛ طلب الوزير العراقي، طالب شبيب، من السفير البريطاني الاعتراف السريع والمباشر بحكومة الانقلاب، والثانية؛ هي التوجيهات التي تلقاها السفير من وزارة الخارجية البريطانية، في مساء يوم العاشر من شباط، والثالثة؛ الاعتراف البريطاني السريع بالنظام الجديد، في يوم الحادي عشر من شباط، وإعلان الاعتراف مساء اليوم نفسه في مجلس العموم واللوردات البريطانيين. فقد أعلن وزير الأختام البريطاني السير إدوارد هيث في مجلس العموم :"إن حكومته تتطلع إلى تطوير العلاقات الصديقة بين بريطانيا وقادة

---

(٤٢) المصدر نفسه ، ص١٠٩.

النظام الجديد"، إذ كل الدلائل تُشير – حسب قول هيث –أن الحكومة الجديدة مُلتزمة بالمواثيق الدولية ، وأن حكومة "صاحبة الجلالة تنظر إلى ذلك بارتياح، ولاسيما التعهدات التي قدمها قادة الانقلاب، فيما يتعلّق بالشؤون النفطية، لذلك فإن حكومة صاحبة الجلالة ترى من الصواب الاعتراف بالحكومة الجديدة"، وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت في الحادي عشر من شباط اعترافها الرسمي بالنظام الجديد في العراق .وقد وصف قادة حزب العمال البريطاني في مجلس العموم قرار اعتراف حكومتهم "بأنه قرار واقعي".

وفي اليوم نفسه قام السفير ألين بزيارة وزير الخارجية، طالب شبيب ، لتقديم التهنئة بمناسبة نجاح "الثورة"، وتسليمه اعتراف حكومته بالحكومة العراقية ، وهذا يؤشر بوضوح ما ذهب إليه استنتاجنا – والكلام للدكتور العقيلي – أن العديد من قادة الانقلاب كانوا مرتبطين بشكل وثيق بالمصالح البريطانية، مّما سهّل الاعتراف السريع بالنظام .يلاحظ أن قادة الانقلاب قد وافقوا على تلبية شروط المصالح البريطانية ،تأتي في مقدمتها حل الأزمة العراقية – الكويتية ، وكذلك الإبقاء على تدفق النفط إلى الغرب، وعدم المساس بالمصالح البريطانية الأخرى. وفي الوقت نفسه، ضمنت بريطانيا للنظام الجديد حياد حكومات الدول المجاورة للعراق، من عدم التدخل في

الشأن العراقي، بعد أن بددت بريطانيا مخاوف تلك الحكومات من قيام نظام حكم قومي في العراق[٤٣].

ما تجدر الإشارة إليه، في هذا المجال، هو تجاهل عواصم الغرب، وخاصة واشنطن ولندن، لجرائم الانقلاب البعثي، وعدم الإشارة إليها في وثائقهم ،مما يعني هذا التغاضي حقيقة واحدة هي الرضا بما كان يقترفه قادة الانقلاب من مجازر بشرية. وفي هذا الصدد يقول الباحث د.علي كريم سعيد :"تصفحت الوثائق البريطانية حول حركة ٨ شباط فوجدتها تشمل المراسلات الانكليزية مع الحكومات الإقليمية، ومراسلات مع قادة عرب، بصفحات تتجاوز المئتين. ولقد لفت نظري عدم ورود أي إشارة فيها عن أعمال القتل والتعذيب، ومصير ألوف المعتقلين في جميع أنحاء العراق. مما يؤكد أن الغرب كان يبحث في مصالحه السياسية بعيداً عن حقوق الإنسان[٤٤] التي طالما تعامل معها الغرب بسياسة" الكيل بمكيالين "، والتي عبر عنها الشاعر العراقي محمد صالح بحر العلوم:

قتل إمرئٍ في غابةٍ جريمة لا تُغتفر

وقتل شعب آمنٍ مسألة فيها نظر!!

---

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ١١٠.

(٤٤) د.علي كريم سعيد ، المصدر السابق ،ص ١٩٤(هامش ١).

على امتداد سني حكمه القصيرة، كان عبدالكريم قاسم يُثير استياء الدوائر الغربية (وبالذات الأمريكية والبريطانية)، لأنه أخرج بغداد من حلف بغداد المناوئ للعراقيين، وأمم أجزاء من شركة نفط العراق، وحرر الدينار العراقي، فمن هيمنة الجنيه الإسترليني، وأرغم الكويت على القبول باتحاد فيدرالي مع العراق، وكان من الطبيعي في مثل هذه الظروف أن يُصبح البعث "حبيباً" لمخططي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية[٤٥] فراهنوا عليه في تنفيذ مخطط الانقلاب، وعوّلوا عليه كثيراً في إعادة العراق إلى حظيرة النفوذ الغربية، مع استعداد كامل، من قبل قادة الانقلاب، لتنفيذ كل الشروط التي أملاها عليهم الداعمون للانقلاب.

عشية الانقلاب.. انتابت البريطانيين والأمريكيين هواجس الخوف من أمرين كانا مبعث قلق شديد؛ الأول: الشعبية الواسعة التي كان الزعيم يحظى بها، سواء على صعيد الشارع أو العسكر .الثاني : الخشية من لجوء عبدالكريم قاسم في اللحظات الأخيرة إلى الاتحاد السوفيتي للاستعانة به للوقوف ضد الانقلاب .

---

(٤٥) جيف سيمونز، المصدر السابق، ص٢٩٨(بشيء يسير من التصرّف إذ وردت كلمة صدام بدلاً من البعث).

وفي هذا الشأن، وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً، كشف في حوار صحفي مرافق الزعيم عبد الكريم قاسم المقدم الركن حافظ علوان سراً خطيراً على حد توصيفه، إذ أفاد بالقول:"كنت أنا و وصفي طاهر مع عبد الكريم، في تلك اللحظات العصيبة، التي مرّ بها وهو مُحاصر في مبنى وزارة الدفاع. فدق جرس الهاتف وتكلم وصفي مع الطرف الأخر الذي كنا نجهل من يكون، ثم ترك الهاتف وقال لعبد الكريم: إن السفارة السوفيتية في بغداد على الخط وتطلبك. لكن عبدالكريم طلب من وصفي إكمال حديثه مع المتحدث نيابة عنه والاستفسار منه ماذا يُريد... وفعلاً تحدث وصفي ثم وضع السماعة جانباً، وقال لقاسم: "إن السفارة تود إخبارك بأنهم على استعداد للاتصال بموسكو، لتدبير إنزال عسكري سوفيتي على بغداد، خلال اثنتي عشرة ساعة من الآن، أو حتى خلال هذه الليلة". فردَّ عبد الكريم قائلاً :"لا أنت خابرهم وقل لهم:إحنا لا نحتاج إلى مثل هذا الإنزال، إنني ما أريد أبدل.. إحنا خلصنا البلد من استعمار الانكليز، وما أريد أبدل استعمار انكليزي باستعمار روسي"(٤٦).

والغريب أن زعماء الكرملين، ورغم اطلاعهم على حمامات الدم التي كان يتعرض لها رفاقهم في الحزب الشيوعي العراقي.. لم يحركوا ساكناً،

---

(٤٦)نقلا عن العقيلي، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥ (هامش ٣).

وآثروا الصمت على ما يجري.ليتضح الموقف في اليوم الرابع للانقلاب باعتراف موسكو بالحكومة العراقية الجديدة، وذلك في لقاء السفير السوفيتي في بغداد مع وزير الخارجية العراقية طالب شبيب. وعدّ الانقلابيون تلك الخطوة أنها ايجابيه من جانب السوفيت. إلاّ أن واقع الحال تغير جذرياً بعد الاعتراف السوفيتي، بسبب الحملة الإعلامية من جانب موسكو، بما يتعلق بموقف الحزب الشيوعي العراقي من الانقلاب العراقي، وأدّى ذلك كله إلى تراجع في العلاقات بين البلدين[٤٧].

على أية حال، كان موقف موسكو حيال الانقلاب وتداعياته دون المستوى المطلوب من دولة كبرى تتزعم المعسكر الاشتراكي يومئذٍ، وأحد ثنائي القطبية الدولية "واكتفت بالتشهير الإعلامي لمذابح الانقلابيين الجدد ضد الشيوعيين وأنصارهم.. دون أن تخطو خطوة واحدة لممارسة دورها العملي في إيقاف دوّامة العنف الدموي .

---

(٤٧) د.سنان صادق الزيدي، المصدر السابق، ص ٣٠.

نظرة مُتأملة لتلك الحقبة، بكل صخبها ودمويتها..وإفلاسها الأخلاقي، يتساءل العراقيون: ماذا جنت البلاد من الانقلاب؟ وما هي المكاسب التي تحققت على أرض الواقع؟ وهل وفى الانقلابيون بشعاراتهم التي حاربوا الزعيم من أجلها؟. وكيف آلت الأمور بعد استحواذهم على السلطة؟ وأين هم من إدعاءاتهم العريضة، حول الديمقراطية والحرية والوحدة العربية والتنمية..؟!.

لقد أصدر التاريخ حكمه النهائي بتلك الزمرة التي لم تجلب للعراق وأبنائه سوى الدموع والقهر والألم والخوف والسجون والمشانق والتخلّف . وإذا كانت هناك ثمّة مستفيد فلا يعدو جيوب قادة الانقلاب التي امتلأت -كما بطونهم- بالسحت الحرام، والتلاعب بمقدرات البلد، وانتهاك حرماته وتدميره، فضلاً عن المستفيد الأول والأكبر وهو الغرب بعاصمتيه واشنطن ولندن.

لسنا هنا بصدد الإجابة على التساؤلات المثارة ، فهذا ما يحتاج إلى مجلدات توثّق بالأرقام والشواهد والأدلّة مدى الجريمة الفادحة التي أُرتكبت بحق العراق وشعبه.. وما يهمنا – في نهاية المطاف- الإشارة سريعاً إلى ما قيل عن المعونات التي قدمتها وكالة المخابرات الأمريكية والبريطانية

والمباحث المصرية لقادة الانقلاب، أثناء تحضيراتهم للإجهاز علـــى تجربـــة واعدة، كان بالإمكان لو قُدّر لها الاستمرار أن تنقل العراق نقلات نوعيـــة تجعل منه في مصاف الدول المتطورة جداً.. كما قيل الكثير عن الدعم المالي من الكويت لهم بعد نجاح انقلابهم مباشرة، من قبيل دفع ثلاثين مليون دينار كويتي، تكريماً لهم، لقضائهم على الخصم اللدود المشترك (الـــزعيم عبـــد الكريم قاسم) ويأتي المبلغ ضمن صفقة عُقدت بين الكويت وحزب البعث، إضافة إلى مبلغ قيمته مليونان وثمانمائة ألف دينار كويتي كهديـــة للعناصـــر الثانوية التي وجهت رصاصها إلى قلب عبد الكريم قاسم ، ومبالغ أخـــرى قيل وقتها بأن مجموعها بلغ أربعة ملايين دينار (ثمانية شيكات قيمة كل منها نصف مليون دينار كويتي) مُنحت لبعض قادة الانقلاب. وقد كتب صحفي كويتي في حينه قصة رمزية عن زواج بين قاطع طريق وعروس جميلة غنيّـــة دفعت للزواج مهراً مقداره أكثر من ثلاثين مليون دينار ..!

قبل مضي وقت طويل ، شاع في الأوساط السياسية خبر مفاده أن عبد السلام عارف – رئيس الجمهورية في حينه– وجد مظروفاً أمام مقعـــده ، فلما فضّه وجد فيه شيكاً بمبلغ نصف مليون دينار كويتي ، وعندها ســـأل الحضور عن ذلك الشيك ، قال له أحد الحاضرين – أحمد حسن البكر أو صالح عماش – إن هذا شيك هدية رمزية من إخواننا الكويتيين .. ويؤكد السياسي المخضرم صديق شنشل :"ظهر لي من تلك الجلسة أن كثيراً مـــن

الجالسين قد إستلم شيكاً مماثلاً وخصوصاً أحمد حسن البكر وصالح مهدي عمّاش وغيرهما"[٤٨].

وليس ذلك بمستبعد من حفنة مقامرة سمحت لأنفسها أن تكون أداه ذليلة بيد المستعمر، وخيانة بلد وتدمير مستقبله، وتمزيق لحمته ،وطمس هويته.. إرضاء لتزوة سرقة ثروات أرض السواد، وإشباعاً لشهوة السلطة وملذاها واستحقاقاها، فاقتسموا الغنيمة (بدعم من الأسياد) ولكن سرعان ما نشبت بينهم المطامع.. وكانت مقاتلهم !

اليوم وبعد خمسين عاماً، من التقهقر والتدمير.. لم يبق في ذاكرة العراقيين سوى تلك الصورة القاتمة التي انطبعت في الأذهان عن تلك التجربة المريرة المترعة بالظلم والفساد والتَخلّف والتهور والخيانة.

اختفى القتلة جميعاً من مسرح الحياة.. لتلاحقهم لعنات الأجيال والتاريخ ويشيعهم خزي الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم..

---

(٤٨) للمزيد تُراجع الردود والتعقيبات على دفاع حازم جواد عن (نزاهة) البعث، والمنشورة كملاحق لمذكراته ، المصدر السابق، ص ٢٠٢ وما بعدها.

دعوة لرد الاعتبار

اليوم، وبعد مرور نصف قرن من انقلاب شباط ١٩٦٣م، وقد تعاقب على العراق حكام عديدون، وشهد العراقيون ويلات ونكبات ترقى إلى مستوى الكوارث.. يُخطيء من يتصور أن العراقيين تجاوزوا تلك الحقبة ، في الوقت الراهن، لمضي وقت طويل عليها ، بل إنهم يحصدون اليوم الثمار المرّة لتلك المرحلة الدامية، والتي أعادت العراق إلى الوراء، على كل المستويات !!.

ما نود قوله؛ لسنا بصدد الدفاع عن حقبة الجمهورية الأولى، ولا عن زعيمها عبدالكريم قاسم.. بيد أن أي باحث مُنصف سيتوقف طويلاً أمام إنجازات فترة حكم عبدالكريم قاسم ،رغم قصرها.فيما لم يُحقق خصومه انجازاً حقيقياً على مدى سنوات طويلة من حكم الاستبداد والقهر والطغيان!.

لقد ذهب الزعيم إلى ربه صائماً مظلوماً محتسباً، وبـديهي أن للرجـل حسناته ومساوءه. فلم يكن معصوماً، والكمال لله وحده. ومهما تباينـت الآراء فيه، فإن خصومه وأعداءه يعترفون قبل محبيه وأنصاره بأنـه مثـال للنزاهة والوطنية والإخلاص والشجاعة والشهامة.. إلى آخر قائمة خصاله الحميدة.. فيما أثبتت الأيام أن قاتليه لم يوفقوا لحمل شرف هـذه المزايـا الطيبة، ولم يكونوا خصوماً شرفاء في كل وقائعهم مع الزعيم، الأمر الـذي تكرر بعد ذلك مع شخصيات عراقية أخرى.. أنهم يفتقـرون إلى الشـيء الكثير حتى من إدعاءاتهم العريضة ،التي خدعوا بها جيلاً كاملاً.

فقد وصموه بشتى النعوت:"الديكتاتور، الشعوبي، المجنـون، الأرعـن، العميل، المجرم.. إلى أخر ما يحفل به قاموس الشتيمة".

مرة أخرى لسنا هنا بصدد المرافعة عن الزعيم، ويكفي أن الذين اتهموه بحاجة إلى تقديم الأدلة الدامغة كي يُقنعوا العراقيين بنزاهتهم عما الصـقوه بالزعيم عبدالكريم قاسم!، والى اليوم لانعدم من يكـرر ببلاهـة اتهامـه بالشعوبية في حين كان أبعد ما يكون عنها ، بل إن معظم الذين اتهموه "هم من أصول غير عربية، ومع ذلك لا نجد أحداً يتهمهم بالشـعوبية ، رغـم

موقفهم المعادي للوحدة العربية ولجمال عبد الناصر" وهو (أي الزعيم) أكثر عروبة من كل أولئك الذين ادّعوا بها[1].

إن الباحث جعفر الحسيني لم يُجانب الصواب أبداً، حين قال وهو يتحدث عن ظُلامة الزعيم:"ليس هناك زعيم عربي، تعرض للتشويه،كما تعرض عبد الكريم قاسم فقد اجتمع على التشهير به الناصريون، البعثيون، والإسلاميون، والرجعيون، وأعداء الشيوعية، وبعض الشيوعيين، والإعلام الخليجي والأردني، والإيراني، والتركي، والغربي. وعندما سقط نظامه،كان الرأي العام العربي يعتبره أسوأ ديكتاتور وأسوأ سفاح، وأخطر عميل حارب القومية العربية.

في حين بكى بعده هذا الرأي العام العربي، بدموع ساخنة على حكام كانوا عملاء لدى الموساد الإسرائيلي. وسأذكر بسرعة نموذجين منهما . يقول هيكل:"إن الملك حسين ذهب - يوم ٢٥ سبتمبر١٩٧٣- إلى مقابلة مع رئيسة وزراء إسرائيل (قبل أيام من ٦ أكتوبر ١٩٧٣) وحذر جولدا

(١) جعفر الحسيني ، ثورة في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣ ، دار الكتب العلمية ، بغداد (د.ت) ، ص٣٤١-٣٤٢ .وقد تقصّى الباحث أسماء تسعة قياديين من المشنعين على عبد الكريم قاسم واتهامه بالشعوبية، ممن ينحدرون من أصول غير عربية،وعلى طريقة "رمتني بدائها وانسلت"، ولمن يروم الإطلاع على أسماء هؤلاء نحيله إلى المصدر المذكور، ص٣٤١-٣٤٢.

مائير من أن مصر وسوريا تدبران لشن معركة مفاجئة ضد القوات الإسرائيلية في سيناء والجولان".

أما النموذج الآخر ،فهو الحسن الثاني ملك المغرب ،الذي أعطى (للموساد ولغيرها من أجهزة الأمن الإسرائيلي الاذن بأن تتسمع على مناقشات ومداولات مؤتمرات عربية وإسلامية على مستوى القمة [٢].

أما رفيق دربه الطويل "إسماعيل العارف" فقد قال في الزعيم ما نصّه: "وبالرغم من الأخطاء التي ارتكبها عبد الكريم قاسم في إدارة حكم الثورة وما عجّل بنهاية هذا الحكم، إلا إن تلك الأخطاء لم تنحدر إلى مستوى العمالة وتنفيذ مخططات الاستعمار، ولابد لكل من اتهمه وأسف أن تكون قد أصابته لوثه في عقله أو هو ينطق عن الهوى.فقد دحضت الأحداث التي سبقت سقوط حكومة عبد الكريم قاسم وأعقبته، أن جميع الاتهامات الباطلة التي وجهت إليه اعتباطاً نفت بالدليل الملموس أي إيحاء بارتباط له بأي جهة أجنبية شرقية كانت أو غربية. ولست هنا في معرض الدفاع عن رجل قاد ثورة وطنية تحررية، ومات لا يملك سوى عشر دنانير في جيبه، ولم يخفِ مالاً أو قصراً أو ثروة من أي نوع كان، وكرّس حياته لخدمة وطنه وشعبه. وإنما

---

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٣.

أُريد أن أتحدث عنه عن موقع قربي منه واطلاعي على أدق علاقاته الخاصة والعامة. فقد زاملته في مختلف الظروف الاعتيادية والحرجة".

ويمضي إسماعيل العارف ليعدد مآثر الزعيم ومواقفه الوطنية بقولـه:"لم ينثن عزم الرجل عن العمل للحفاظ على استقرار العراق وإزالة كل آثـار السيطرة الأجنبية عليه . فقضى على النظام الذي كان خاضعاً للنفـوذ البريطاني، وانسحب من حلف بغداد الاستعماري، وحرر النقد العراقي من تبعيته للجنيه الإسترليني، وضرب مصالح شركات النفط بسنّه القانون رقم ٨٠ الذي استعاد به ٩٩.٨في المائة من الأراضي العراقية الداخلة في امتياز استثمار الشركات النفطية ، فجرأ بذلك الدول المجاور على "توطين" إنتاجها النفطي، وبالتالي فتح الطريق أمام العراق ليؤمم نفطه كلياً سنة ١٩٧١. ولم تقتصر أعماله على العراق فحسب وإنما امتدت إلى الوطن العربي فحـارب النفوذ البريطاني أينما كان في الوطن العربي، وأمدّ الثورة العمانيـة بالمـال والسلاح، ودعم نضال شعب جنوب اليمن، من أجل التحرر من السيطرة البريطانية، وأوشك أن يدخل في مجابهة عسكرية مع بريطانيا عنـدما أحيـا العلاقات المتميزة بين العراق والكويت، وألغى الاتفاقية الثنائية التي حلـت محل معاهدة ١٩٣٠ الجائرة مع بريطانيا، وطرد بثورة تموز آخـر جنـدي للتاج البريطاني، من رض العراق فكيف يقوم عميل بريطاني بتلك الأعمال ضد الدولة التي استخدمته ؟".

واختتم العارف تقييمه قائلاً:"لقد كان عبد الكريم قاسم شخصية قيادية فذّة وتجربته هي إحدى أغنى التجارب الثورية في العالم الثالث. وإذا كان من بؤس العمل السياسي العربي أن يحاول كل نظام جديد أن يبني هيكله من دمار النظام السابق فإن الحقيقة شمس لا تختفي في ظل إصبع" (٣) .

وغني عن القول :إن الظُلامة ما تزال تُلاحق الزعيم عبدالكريم قاسم حتى هذا اليوم..ورغم مرور هذه السنين الطويلة على ذكراه المفجعة!!.

وهنا من حقنا أن نتساءل :

- أليس من حق الزعيم على العراق وأبنائه أن يُعيدوا إليه اعتباره، بعد هذه الظُلامة؟!.
- ألا يستحق الزعيم – وهذا أقل الوفاء لحاكم نزيه مخلص _أن يُطلق أسمه على شارع رئيسي، أو ساحة مهمة، أو مؤسسة عظيمة، أو إنجاز كبير تركه..؟!.
- أليس جديراً به أن يُقام له نصب في قلب بغداد ، وفي إحدى بوابات إنجازاته العملاقة ..وما أكثرها ؟!.
- أليس من الوفاء لهذا القائد الذي ضحّى بكل شيء لشعبه ووطنه أن نضع له قبراً رمزياً ،نُحيي به ذِكراه المغيّبة وقبره المُضيّع ؟!

---

(٣) إسماعيل العارف ، المصدر السابق ، ٤٣٩-٤٤٠.

إن هذه التساؤلات وغيرها كثير..تفرض نفسها أمام كل الغيارى من أبناء العراق، لكي يقوموا بواجبهم تجاه أنظف سياسي شهده العراق في تاريخه الحديث..

إن أمة لا تحتفي برموزها النظيفة هي أمة هامدة ..ليست جديرة بأن تحيا بكرامة وعزّة.. وإن شعباً ينكر الجميل لمن جاد بنفسه في سبيل استقلال الوطن وحرية المواطن.. هو شعب عاق بحق أفذاذه ورموزه ومفاخرة.

لقد كان وقوفه بوجه الموروث الطائفي أنصع خصاله الجميلة.. غير أنه راح ضحّية نهجه هذا على أيدي أصحاب المشروع المشبوه.. وما أشبه اليوم بالبارحة!.

الملاحق

(أ): اسماعيل العارف يتذكر

وهنا اروي قصة الساعات الاخيرة لقائد ثورة ١٤ تموز العظيمة وكيف ومتى سمع اول مرة بانباء الانقلاب ولماذا دخل وزارة الدفاع كما رواها لي المقدم الركن قاسم الجنابي مرافق عبد الكريم قاسم الذي بقي معه الى ان لفظ انفاسه الاخيرة.(٤).

كان الزعيم عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع مساء يوم ٧ شباط ١٩٦٣ وطلب من المرافق المقدم قاسم الجنابي ان يتصل بوزير العدل السابق مصطفى علي ويدعوه لمقابلته في وزارة الدفاع. فحضر مصطفى علي ودار بينهما حديث لم يطل كثيرا، وبعد انصرافه ترك الزعيم عبد الكريم بناية وزارة الدفاع ومعه المرافق وجماعة الحماية لزيارة بيت يحيى الجدة اخى الزعيم عبد الكريم الجدة آمر الانضباط العسكري، في الاعظمية، حيث كان يزوره عندما يشعر بالضيق والانقباض. فتناول طعام السحور في دار الجدة وبقي هناك حتى ساعة متأخرة من الليل قاربت الرابعة صباحا. بعدئذ نهض وودع المضيف وتبعته حاشيته الى داره في العلوية (٥). وعندما دخل الدار أوى الى فراشه فودعه مرافقه واتجه مع جماعة الحماية الى الدار المجاورة التي كانت مخصصة لهم. وحوالي الساعة الثامنة والنصف صباحا ايقظ عريف الخفر المرافق المقدم قاسم الجنابي من النوم واخبره بانه سمع على الراديو اذاعة غريبة على موجة بغداد تدعو الى الثورة وتصدر البيانات. وبينما كان قاسم الجنابي يرتدي ملابسه اتصل به مدير الامن العام عبد المجيد جليل وطلب منه ايقاظ الزعيم عبد الكريم لان انقلابا قد وقع. فخرج المرافق من دار الحماية الى البيت المجاور الذي ينام فيه عبد الكريم قاسم فوجده قد استيقظ وكان يرتدي ملابسه العسكرية. فطلب من المرافق ان يطب له على الهاتف مقر اللواء التاسع عشر في معسكر الرشيد. فحضر على الطرف الثاني من الهاتف المقدم الركن مهدي الصندوق مقدم

---

(٤) روي لي القصة المقدم قاسم الجنابي يوم الاحد ١٩٨٤/٥/٣٠ في لندن.

(٥) كان عبد الكريم قاسم يسكن في دار استأجرها بمبلغ ١٥ دينارا من مديرية الاموال المجمدة لليهود منذ اوائل الخمسينات ولم يغيرها حتى وفاته. وهي دار قديمة بسيطة يسكن في مثيلاتها ذوو الدخل المحدود من الطبقة دون الوسط. وقد وضعت خطة ثورة ١٤ تموز فيها.

اللواء، فقال له هيء لي سرية في باب المعسكر وانا قادم الى اللواء. وبينما كان يتحدث مع مقدم اللواء، حوالي الساعة التاسعة دخل الزعيم طه الشيخ احمد والزعيم وصفي طاهر مرافقه الاقدم والمقدم الركن حافظ علوان المرافق الثاني. فقال لهم «هيا بنا نذهب الى اللواء التاسع عشر في معسكر الرشيد». فاعترض طه الشيخ احمد قائلا «انا لا انصح بذهابك الى اللواء التاسع عشر لأن هناك بعض الضباط البعثيين وقد يعتدون عليك» واقترح الذهاب الى وزارة الدفاع. فوقع الاقتراح عنده موقعا حسنا. ثم استقل سيارته وتبعه الضباط والمرافقون وجماعة الحماية واتبع السائق في سيره خط شارع الجمهورية. وعندما وصلت السيارة الى نهاية الشارع سأله السائق، العريف صلال، عن الوجهة التي يتجه اليها فلم يجبه [٦] فتصور السائق ان الوجهة وزارة الدفاع كالمعتاد. وحالما استدارت سيارته نحو الوزارة شقت طريقها بصعوبة بالغة وسط الجماهير الغفيرة التي تجمعت امام وزارة الدفاع تنادي بتوزيع السلاح عليها وتهتف بحياته «ماكو زعيم الا كريم». فصعد سلم الوزارة الى مقره حوالي الساعة التاسعة والنصف واتصل بآمر الانضباط العسكري الزعيم عبد الكريم الجدة وطلب منه ارسال مفرزة من الانضباط الى مرسلات الاذاعة في ابو غريب لتأمين حمايتها واخرى الى معسكر الرشيد. ثم طلب مسجلا ومسجل خطابا سلمه الى الرئيس سعيد الدوري المسؤول عن تدوين خطاباته وأمره ان يذهب به الى دار الاذاعة في الصالحية لاذاعته. فوصل سعيد الدوري الى الاذاعة وطلب من المذيع قاسم نعمان السعدي اذاعته الا ان هذا سلمه الى بعض الضباط الموجودين هناك فاحتفظوا به ولم تذع كلمته. ثم اتصل عبد الكريم قاسم بالمقدم جاسم العزاوي، سكرتيره والمشرف على الاذاعة والتلفزيون وقال له «سيصلك شريط مسجل عليه خطابي وعليك اذاعته». الا ان العزاوي امر المشرفين على التلفزيون باخراج صورة عبد الكريم قاسم على شاشة التلفزيون ولم يذع الكلمة. ثم طلب جلب قانون شركة النفط الوطنية الذي احتفظ به ليصحح بعض العبارات في اسبابه الموجبه ووقعه وقال «اريد ان أوقع هذا القانون الان». ثم اتصل بالعقيد صفاء محمود آمر كتيبة الدبابات الموجودة في بغداد الجديدة، وطلب منه تنفيذ خطة أمن بغداد. واعاد الاتصال باللواء التاسع عشر (لواءه) فأجابه على ندائه هذه المرة الرئيس طه الشكرجي بخشونة فقال له الزعيم عبد الكريم قاسم مهددا «انتظر سأتيك حالا»، فقفز من مكانه ونزل السلم مسرعا باتجاه سيارته فلحق به المرافقون الى وسط ساحة وزارة الدفاع وتوسلوا اليه ان يعود ولا يذهب الى معسكر الرشيد. وقد كان اكثرهم الحاحا عليه الزعيم عبد الكريم الجدة. فدخل عندئذ الى دائرة آمر الانضباط وارسل المرافق حافظ علوان ليستدعي آمر فوج حماية وزارة الدفاع عارف يحيى الحافظ فلم يعد المرافق ولم يأت الآمر. وعند ذاك التحق به في مقر الانضباط الزعيم طه الشيخ احمد ورئيس اركان الجيش احمد صالح العبدي قادمين من البناية الرئيسية لوزارة الدفاع، بينما اشتد الرمي من العناصر الثائرة على بناية الانضباط العسكري. اما مرافقه الاقدم فقد بقي في البناية الرئيسية حتى اصابته شظية من قصف الطائرات وارديه قتيلا. اما قطعات حماية وزارة الدفاع فقد ارتبكت ولم تنفذ الاوامر

(٦) حديث مع العريف صلال سائق الزعيم عبد الكريم في شباط (فبراير) ١٩٦٧

التي صدرت اليها من الزعيم عبد الكريم قاسم بتأثير القصف الجوي والضباط الذين انحازوا الى صف الثائرين. فتجمع في مقر الانضباط العسكري كل من الزعيم عبد الكريم قاسم والزعيم عبد الكريم الجدة ورئيس اركان الجيش وطه الشيخ احمد وسعيد مطر وفاضل المهداوي وكنعان خليل حداد الذي ابدى شجاعة نادرة في المقاومة.

وعندما حل مساء ٨ شباط تمكنت بعض القطعات الثائرة من الاستيلاء على نصف ابنية وزارة الدفاع وحاولت بعضها مهاجمة بناية الانضباط العسكري الا انها ردت على اعقابها بفعل المقاومة المستميتة التي ابداها الضباط المحيطون بعبد الكريم قاسم. كما لم تتمكن الدبابات التي وصلت الى مدخل وزارة الدفاع من اقتحامها واستمرت المقاومة حتى صباح يوم السبت ٩ شباط. الذي تصاعد فيه قصف الطائرات على بناية الانضباط العسكري مما ادى الى استشهاد الزعيم عبد الكريم الجدة آمر الانضباط العسكري.

تمكن يونس الطائي صاحب جريدة «الثورة» من دخول وزارة الدفاع مساء يوم ٨ شباط واقترح على الزعيم عبد الكريم قاسم ان يتوسط بمفاوضة الثائرين وذلك قبل ان ينتقل عبد الكريم قاسم الى بناية قاعة الشعب المجاورة للانضباط العسكري نظرا لشدة قصف الطائرات. فخرج يونس الطائي لمفاوضة عبد السلام عارف وبقية المسؤولين عن الحركة في اذاعة بغداد بالصالحية فتوقف القتال بعض الشيء، ولما عاد يونس الطائي نقل اليه قرارهم بأن يستسلم وسيسمحون له بترك العراق.

قبل ان ينتقل الزعيم عبد الكريم قاسم الى قاعة الشعب سمح لرئيس اركان الجيش احمد صالح العبدي ان يترك مرافقته له ويذهب الى سبيله فاتجه هذا الى حافة نهر دجلة وخرج من وزارة الدفاع سالكا طريق الضفة اليسرى وسلم نفسه الى القوات التي كانت تطوق وزارة الدفاع من الجهة الشمالية الغربية. ثم اقترح الضباط ان يخرج الزعيم عبد الكريم قاسم معهم باتجاه المستشفى الجمهوري الا انه لم يوافق. وفي ذلك الوقت سمح للرئيس سعيد مطر ان ينجو بنفسه.

بعد فشل المفاوضات التي اجراها يونس الطائي وتوقيفه من قبل علي صالح السعدي عندما عاد لينقل الى المجلس الثائر وجهة نظر عبد الكريم قاسم، حلق الزعيم عبد الكريم قاسم ذقنه وغير ملابسه واتصل بعبد السلام عارف عارضا عليه الاستسلام مرة اخرى. واخذ الضباط الذين كانوا برفقته مواضعهم على شرفات قاعة الشعب وقد وجهوا أسلحتهم الى وسط القاعة. وعندما حلت الساعة الثانية عشرة والنصف دخل جميع الضباط الذين كانوا يطوقون وزارة الدفاع مع بعض الجنود الى قاعة الشعب، وعندما اراد الضباط المحيطون بعبد الكريم قاسم اطلاق النار على الداخلين منعهم قائلا «لاترموا. لا اريد مجزرة. انهم ابنائي.».

عندما سألت المقدم قاسم الجنابي عن السبب الذي ادى الى احجام عبد الكريم قاسم عن توزيع السلاح الى الجماهير المحتشدة امام وزارة الدفاع قال «رفض الزعيم عبد الكريم قاسم قائلا: لا اريد ان اجعلها حربا اهلية». وقد قرر الاستسلام بعد ان تردى الموقف وعلى اثر الوعد الذي نقله اليه يونس الطائي، صاحب جريدة «الثورة»، من المجلس الوطني لقيادة الثورة في انه اذا استسلم فسوف يسمح له بالسفر الى خارج العراق.

وعند الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر يوم السبت المصادف ٩ شباط سلم عبد الكريم قاسم نفسه وكذلك فعل الضباط الذين اختاروا البقاء معه الى آخر لحظة. وكان خارج وزارة الدفاع العقيد الركن محمد مجيد والمقدم الركن هادي خماس (كان احد امري افواج لواء عبد الكريم قاسم وقد كان يثق به فاناط به حراسة بناية الاذاعة والتلفزيون). فاصعد الزعيم عبد الكريم قاسم وطه الشيخ احمد الى دبابة لوحدهما واصعد قاسم الجنابي وفاضل المهداوي وكنعان خليل حداد الى مدرعة. واتجهوا جميعا الى بناية الاذاعة والتلفزيون ثم يروي قاسم الجنابي ما حدث في بناية الاذاعة والتلفزيون فيقول «عندما وصلنا الى الاذاعة ساد الحاضرين من الجنود والضباط المحيطين بالبناية وجوم وخيم على الجو صمت الاموات، فكنت اذا رميت ابرة على الارض سمعت رنينها، فانزل عبد الكريم قاسم من الدبابة واستلمه بعض الضباط يتقدمهم المقدم عبد الستار عبد اللطيف وحاولوا درء الاعتداء والاهانة عنه اما المهداوي وطه الشيخ احمد فقد انهالت عليهم الضربات من كل حدب وصوب فجرح المهداوي برأسه، واقتادونا الى داخل البناية التي كان يقف في داخلها عبد السلام عارف واحمد حسن البكر وخالد مكي الهاشمي وعلي صالح السعدي، ويقف الى جانب منهم المقدم عرفان عبد القادر وجدي وعبد الغني الراوي وبعض الضباط القوميين ممن لاتحضرني اسماؤهم، فوقفنا في وسطهم وهم يحيطون بنا انا والزعيم عبد الكريم قاسم وطه الشيخ احمد وفاضل عباس المهداوي والملازم كنعان خليل حداد، فانبرى علي صالح السعدي مخاطبا المهداوي قائلا (لك اشسويت) أي «ماذا فعلت» فقال له المهداوي «لك انجب انا اتكلم مع عبد السلام» فرد عليه السعدي «انتظر سوف اقتلك». ثم وجه علي السعدي سؤالا الى الزعيم عبد الكريم وقال «كانت عندنا حركة قبل اسبوعين واخبرك بها احد الاشخاص فمن هو هذا الشخص؟ وهل هو موجود الان بيننا نحن الحاضرين؟». فأجابه الزعيم عبد الكريم «لايوجد الشخص الذي اخبرني بينكم. بشرفي». فرد عليه علي السعدي «من اين لك أن تفهم الشرف»؟ فأجابه عبد الكريم قاسم: «إن لي شرفاً أعتز به». وألح على السعدي في السؤال ثانية وثالثة، وقال أخيراً: «ماذا كان يعمل عندك المقدم خالد الهاشمي عندما قابلك في وزارة الدفاع قبل اسبوعين؟». فأجابه «أرسلت بطلبه لأستفسر عن صحة والدته». ثم أخذ يتحدث قائلا «انني خدمت الشعب ونفذنا ثورة انقذته من الاستعمار وهيأنا له العيش الكريم وجئنا بهذا السلاح الذي تستعملونه ضدي لكي يشهر في وجوه الاعداء». وكان المقدم احمد حسن البكر قلقا وقال لي «لماذا جلبتم هذا الشخص»، مشيرا الى عبد الكريم قاسم، فقلت له «انا لم اعمل سوى خدمة بلدي». فقال «اذا قف مع جماعتك حتى نرميك معهم» ثم توجه عبد السلام عارف يناقش عبد الكريم قاسم محاولا ان ينتزع منه اعترافا في ذلك الظرف الحرج في انه هو الذي كتب البيان الاول لثورة ١٤ تموز وسأله من الذي كتب البيان الاول لثورة ١٤ تموز؟ فاجابه عبد الكريم قاسم اجابة غامضة لم تنل رضى عبد السلام عارف الذي راح يعاتبه لتركه اياه واهماله وحبسه. ثم دخل المقدم عرفان وجدي وحردان التكريتي وسحباني من بين الجماعة وأنقذاني من الاعدام ثم أدخلاني غرفة السيطرة على التسجيل وجاءني حازم جواد ليبلغني قرار المجلس الوطني لقيادة الثورة باعفائي من الاعدام فشكرته والحزب على ذلك، وقلت له هذا فضل منكم انقذتم حياتي. ثم

جاءني علي السعدي وعبد الستار عبد اللطيف وجلبا لي فطورا وسألني عبد الستار عبد اللطيف مستفسرا عن الشخص الذي اخبر عبد الكريم قاسم عن الحركة من انكلترا التي زرتها للاشتراك في دورة للاركان وهل هو الملحق العسكري عبد القادر فايق؟ فقلت له ليس لدي علم مؤكد بذلك. والحقيقة ان الملحق العسكري بعث بتقرير خاص الى الزعيم عبد الكريم قاسم من انكلترا يخبره بتفاصيل الحركة واسماء الضباط المشتركين فيها، وقد حصل على تلك المعلومات من احد الضباط القادمين الى انكلترا في دورة قصيرة ولم اكن اعرف اسمه. ثم سألني علي السعدي ما اذا كنت احتاج الى شيء وقدم لي احد الموظفين سجائر «وجاءني حردان التكريتي وقال لي» ابو سمير من الممكن ان تذهب الى بيتك ولكن اخاف عليك، فالافضل ان تذهب الى سجن سرية الخيالة لبضعة ايام».

عندما اقتيد الزعيم عبد الكريم قاسم كان في كامل القيافة، جذابا انيقا وقد حلق ذقنه قبل ذلك في صباح يوم ٩ شباط وقد وعدوه قبل ان يستسلم بان يسمحوا له بترك العراق ولكنهم قرروا اعدامه بعدئذ. ولم يفقد رباطة جأشه وشجاعته. وعند الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر يوم السبت ٩ شباط اقتيد الزعيم عبد الكريم قاسم وطه الشيخ احمد وفاضل عباس المهداوي وكنعان خليل حداد الى استوديو التلفزيون وبلغوا بقرار المجلس الوطني لقيادة الثورة باعدامهم رميا بالرصاص واعتبرت المناقشة التي جرت محاكمة سريعة له وللضباط الاخرين. فرفضوا وضع عصابة على اعينهم. ويدعي العقيد عبد الغني الراوي انه هو الذي اصدر الحكم باعتباره قد عين رئيسا للمحكمة من قبل المجلس الوطني لقيادة الثورة، فبلغهم به. فتقدم لقتلهم الرئيس مهدي حميد والرئيس عبد الحق وعبد الغني الراوي. فوجهوا نار اسلحتهم الاوتوماتيكية الى صدورهم فماتوا في اللحظة. ثم صدر بيان نقلته الاذاعة العراقية اعلن فيه نهاية «عدو الشعب» عبد الكريم قاسم. وعرضت جثتهم على شاشة التلفزيون في العراق. وانتهت حياة القائد الذي فجر احدى اعظم الثورات العربية المعاصرة وحرر العراق من التبعية الاستعمارية وقوض دعائم حلف بغداد ووضع العراق على طريق المدنية والتقدم. وبكلمات المؤرخ حنا بطاطو «حتى هذا اليوم هناك عدد غير قليل من اولئك الذين وقفوا ضده اثناء تلك الساعات، يعترفون بصورة خاصة، وبصرف النظر عن كونه عدوا لهم، ان ابناء الشعب العراقي لم يمنحوا حبهم الاصيل من اعماقهم، لاي قائد في تأريخ العراق الحديث مثلما منحوه له[٧] ».

جانب آخر من قصة الساعات الأخيرة من حياة عبد الكريم قاسم رواه لي الاستاذ عبد الستار الدوري احد اعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في ذلك الوقت، وكان مع اول جماعة احتلت مرسلات الاذاعة في ابي غريب وبعدها اذاعة الصالحية واصبح مديرا عاما للاذاعة والتلفزيون بعد نجاح الحركة. يقول الدوري [٨].

«اتصل الزعيم عبد الكريم قاسم هاتفياً مساء يوم الجمعة ٨ شباط بعبد السلام عارف عندما كنا في محطة اذاعة الصالحية في جانب الكرخ من بغداد، وطرح عليه ايقاف القتال

(٧) المصدر السابق صفحة ٩٨١ .

(٨) حديث مع عبد الستار الدوري في واشنطن في خريف ١٩٨٠ عندما كان في زيارة لاجراء الفحوص الطبية.

وسفك الدماء، الا ان عبد السلام عارف اجابه ان المجلس الوطني لقيادة الثورة قرر ان يستسلم دون قيد وشرط وان يأتي الى مبنى الاذاعة، ويبدو انه اتصل بعدما اذيع تشكيل الوزارة وتعيين عبد السلام عارف رئيسا للجمهورية، ثم اطبق سماعة الهاتف وبين الساعة الثامنة والتاسعة مساء وصل يونس الطائي صاحب جريدة «الثورة» الى العقيد طاهر يحيى في معسكر الرشيد موفدا من عبد الكريم قاسم، وبعد مقابلته اخبره طاهر يحيى ان ليس لديه اية سلطة في القرار. فجاء يونس الطائي الى مبنى الاذاعة وتكلم مع عبد السلام عارف حول حل النزاع سلميا فأجابه ان الامور انتهت وان المجلس الوطني لقيادة الثورة قرر ان يستسلم عبد الكريم قاسم دون قيد او شرط. . فترك يونس الطائي دار الاذاعة وعاد الى وزارة الدفاع. وبعد فترة قصيرة، رجع يحمل اقتراحا من الزعيم عبد الكريم قاسم بالسماح له بترك العراق وإنهاء القتال. ورداً على إلحاح يونس الطائي الشديد، أصدر على صالح السعدي امرا بتوقيفه. وفي ساعة متأخرة من ليلة ٨/٩ شباط اتصل عبد الكريم قاسم مرة اخرى بعبد السلام عارف وقال له «هل تقبل ان افطر على جرعة ماء انني اريد انهاء القتال وايقاف ازهاق الارواح البشرية وترك العراق». الا ان عبد السلام عارف رفض طلبه بخشونة وجفاء وطلب منه ان يخرج من مكانه بالملابس الداخلية وبلا رتب عسكرية واضعا يديه على رأسه علامة الاستسلام فرفض عبد الكريم قاسم ذلك. وفي صباح يوم ٩ شباط اتصل عبد الكريم قاسم بالاذاعة للمرة الثالثة بعد ان هرب عدد كبير من جنود حماية وزارة الدفاع وتخلى رئيس اركان الجيش احمد صالح العبدي عنه، وبدأ يتنقل مع الضباط المرافقين له من بناية الى اخرى في وزارة الدفاع، فوافق على الاستسلام عند الساعة الحادية عشرة طالبا ان يستقبله في مدخل الاذاعة المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف فدخلت القطعات التي كانت تحاصر وزارة الدفاع الى قاعة الشعب التي انتقل اليها مساء يوم ٨ شباط واقتيد هو وطه الشيخ احمد في دبابة الى دار الاذاعة بجانب الكرخ ووضع مرافقه المقدم قاسم الجنابي والعقيد فاضل المهداوي والملازم كنعان خليل حداد في مدرعة وجيء بهم الى دار الاذاعة في الصالحية، فاستقبله عبد الستار عبد اللطيف ولم يدع احدا يعتدي عليه وادخله من الباب الخارجي. وفي تلك الاثناء هجم بعض الجنود على المهداوي واشبعوه ضربا فجرح في رأسه».

عندما دخل عبد الكريم قاسم تطلع في وجوه الحاضرين فردا فردا فشخن الجو بهستيريا عاطفية، فصاح بعض الضباط الحاضرين «اين رفعت؟ اين ناظم؟» الخ. وهنا تكلم عبد الكريم قاسم وقال «انني خدمت الشعب وبنيت لهم دورا وساعدت الفقراء وشكلت محاكم دستورية حاكمت الجماعة». ثم احتدم جدل بينه وبين الضباط دام اكثر من ٤٥ دقيقة وبعدئذ تناول الحديث عبد السلام عارف فخاطب الزعيم عبد الكريم قائلا «كريم [٩]. . من الذي كتب البيان الاول لثورة ١٤ تموز فقال له «نحن كتبناه». ثم سأله «ألم اعطك هذا المسدس وقلت لك غدا ستنجح الثورة؟» ثم التفت الى طه الشيخ احمد وقال له «طه انا وكريم خبز وملح. نزعل ونرضى وبيننا علاقة حميمة ولكن ما الذي بيني وبينك ولماذا اظهرت هذا الحقد

---

(٩) لم يكن حتى رؤساء عبد الكريم قاسم في الجيش ينادونه باسمه مجردا من الالقاب.



علي صالح السعدي، سكرتير حزب البعث العربي الاشتراكي
اثناء تنفيذ حركة ١٤ رمضان (٨ شباط ١٩٦٣) ضد حكومة عبد الكريم
قاسم وقد اصبح نائب رئيس وزراء في الحكم الجديد.

علي؟». ثم صفعه على وجهه بقوة وقال له «يهودي ابن اليهودي». ثم انسحب اعضاء المجلس بعد ذلك الجدل واجتمعوا في الغرفة المجاورة وعادوا بعد خمس دقائق فنطق بقرارهم العقيد عبد الغني الراوي (١٠) وقال «قرر المجلس الوطني لقيادة الثورة تنفيذ حكم الاعدام بعبد الكريم قاسم وفاضل عباس المهداوي وطه الشيخ احمد وكنعان خليل حداد وقاسم الجنابي». وقبل لحظات من تنفيذ حكم الاعدام تقدم المقدم الركن حردان التكريتي وسحب قاسم الجنابي من بينهم قائلا لماذا يعدم هذا وليس له دخل في شيء». فأجلسوا الباقين على كراسي الموسيقيين ونفذ بهم الاعدام رميا بالرصاص ولم يوافقوا على ربط اعينهم وقام باطلاق الرصاص عليهم الرئيس منعم حميد والرئيس عبد الحق. وعبد الغنى الراوي.

كان عبد الكريم قاسم رابط الجأش متماسكا لم يفقد اعصابه وتكلم بثقة وبقي محافظا على هدوئه حتى اخر لحظة من حياته، اما المهداوي فقد انهار وصاح «انا صار سنة لم ار هذا» واشار

(١٠) يدعي عبد الغني الراوي انه هو الذي اصدر قرار اعدام عبد الكريم قاسم.

الى عبد الكريم قاسم.

يروي الاستاذ عبد الستار الدوري بعض تفاصيل الانقلاب فيقول «سيطرنا على مرسلات اذاعة ابو غريب حوالي الساعة الثامنة صباح ٨ شباط او قبل الثامنة بقليل ولم نجد فيها احدا. وقد احتلها المقدم عبد الستار عبد اللطيف وحازم جواد وطالب شبيب. واذاع البيان الاول لحركة ١٤ رمضان (٨ شباط) حازم جواد ثم تولى مذيعون اخرون اذاعة البيانات اللاحقة. وقد اذعنا بيانات كاذبة كررنا فيها خبر مقتل عبد الكريم قاسم مرات عديدة بينما كان لايزال في داره واذيعت برقيات كاذبة باسماء قادة وآمرين من كركوك والحبانية وغيرها تأييد الحركة وهم لايعلمون. فاذعنا مثلا تأييد الزعيم محمود عبد الرزاق قائد الفرقة الثانية وذلك دون علمه».

استمرت المقاومة في اماكن متفرقة من بغداد والبصرة. ففي الكاظمية دامت حتى مساء يوم ٩ شباط وكذلك في عقد الكرد بمنطقة باب الشيخ حيث قاد المقاومة اعضاء الحزب الشيوعي ومؤيدوه. وانتهت اطول مقاومة في مساء يوم ١٢ شباط قرب ميناء البصرة. وقد ساعد البيان رقم ١٣ الذي اصدره الحاكم العسكري العام رشيد مصلح [١١] على ابادة المقاومة في كل مكان بسرعة عندما خول الشرطة وآمري الوحدات العسكرية والحرس القومي بقتل كل من يعتقدون بانه يعكر صفو الامن.

قدرت الخسائر البشرية التي وقعت بعدد يتراوح بين ٥٠٠ - ١٥٠٠ قتيل بمن فيهم الجنود وافراد الشعب. وقدرت خسائر الشيوعيين بـ ٣٤٠ قتيلا، وقد القى القبض على عدد كبير من الشيوعيين والمؤيدين لحكم عبد الكريم قاسم وفق قوائم اعدت بدقة من قبل. وقد اشيع ان اذاعة سرية خاصة كانت توجه الاجهزة الجديدة وتدلهم على اماكن وعناوين الاشخاص المعادين.

نقلت جثة عبد الكريم قاسم في سيارة عسكرية في منتصف ليلة ١٠/٩ شباط الى منطقة معامل الطابوق الواقعة بين بغداد وبعقوبة. ودفن عبد الكريم قاسم في حفرة بملابسه العسكرية التي قتل فيها. وقد اختيرت الحفرة في مكان بعيد عن رصد الناس ثم وارت المفرزة العسكرية التي قامت بدفن عبد الكريم قاسم التراب عليه، واخفت جميع المعالم التي تدل على قبره. ولكن بعض العمال الذين كانوا يسكنون حول معامل الطابوق وممن يحبون عبد الكريم شاهد ما جرى. فعندما ابتعدت المفرزة العسكرية، تسلل الى المنطقة بعض هؤلاء العمال، واستخرجوا الجثة من الحفرة وحملوها على اكتافهم الى مكان يقع بين المجمعات السكنية للعمال، فحفروا لها قبرا جديدا ودفنوا الجثة فيه. وسرعان ما سرى الخبر بين العمال وتسرّب الى سلطات الامن التي داهمت دور العمال والقت القبض على المتهمين الذين تعرضوا لعقوبات صارمة. ثم قام رجال الامن باستخراج الجثة بحراسة قلة من الجيش ووضعوها في كيس من الجنفاص اثقل بكتل من الحديد الصلب. وفي المساء القيت الجثة من على جسر نهر ديالى الذي يصل بغداد بسلمان باك، الى النهر لتكون طعاما للاسماك. فلم يترك لعبد الكريم قاسم أثر في العراق. وضاقت ارض العراق عن ان يكون له قبر فيها.

ولكن صورته بقيت مرتسمة في اذهان العراقيين سنين طويلة بعد وفاته، حتى ان البسطاء

(١١) اعدم سنة ١٩٧٠ لاتهامه بالتجسس للبريطانيين.

من عمال وفلاحين، الذين كرس حياته لخدمتهم ومات في سبيلهم ظلوا يتناقلون القصص الخرافية عن ظهوره في مدن العراق احيانا او في البلدان الاجنبية احيانا اخرى، ولم يصدقوا موته على الاطلاق. وما يزال عدد كبير من العراقيين الذين عاصروه يذكرونه بالخير. ويأسف الكثير على جحود العراقيين لواحد من اعظم قادتهم انجبه عصره، ويتطلعون الى من يرد لهذا الرجل الشريف اعتباره ويعترف بما قدمه من خدمة جلى لبلده ولامته.

(ب): وثائق وصور



القيادة الثورية لحزب البعث تؤيد الركابي

صوت العروبة

٨ صفحات

٢٥ قرش

الركابي الوزير البعثي السابق يفضح وقاحة الساقين

القيادة القومية لحزب البعث منحرفة خائنة

الركابي يفضح مؤامرات القيادة البعثية في بيروت

في القيادة القومية عملاء للجاسوسية البريطانية

عفلق يتعاون مع الاستعمار

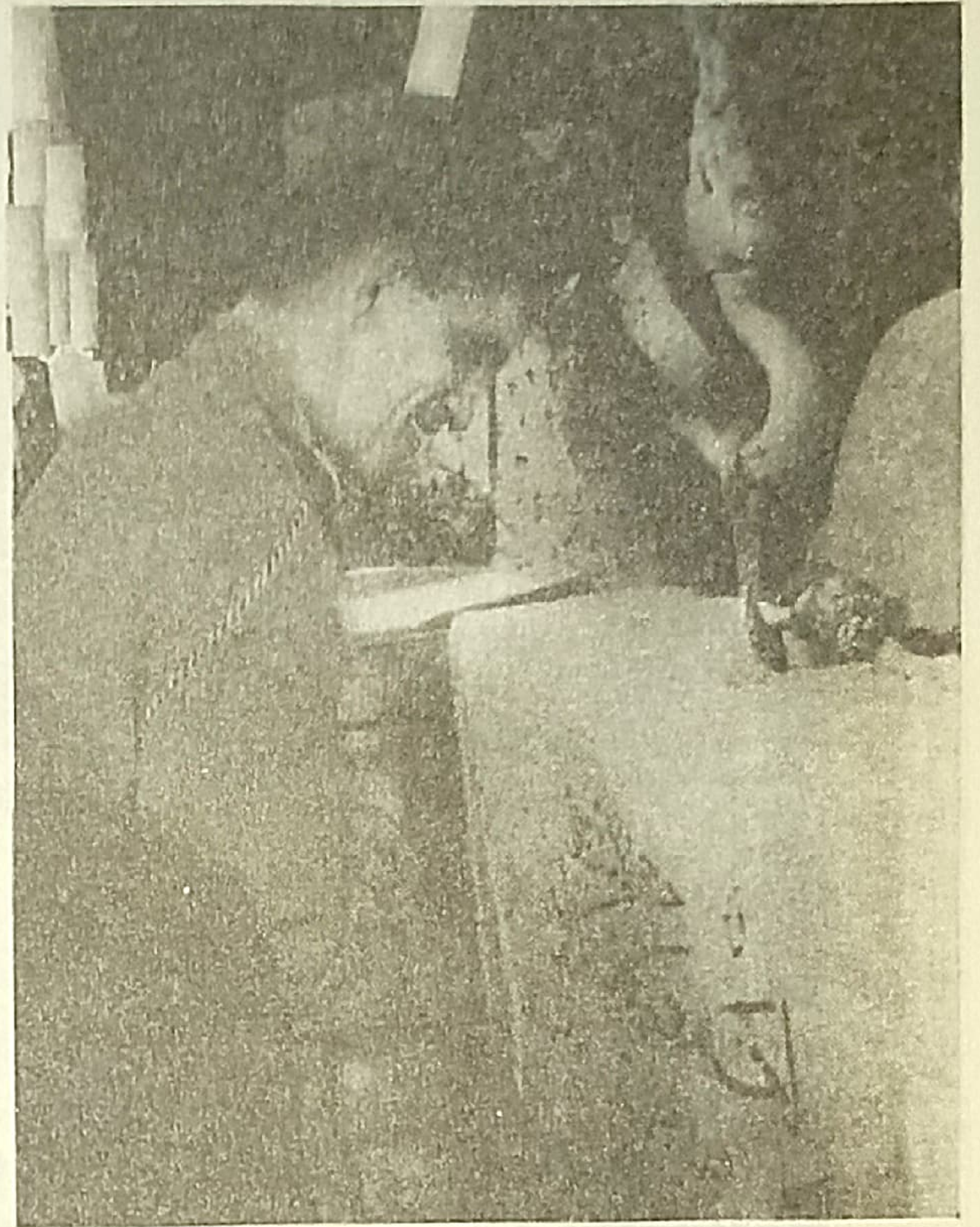
أيدت القيادة القومية الثورية لحزب البعث العربي الاشتراكي في بيان لها في بيروت امس موقف السيد فؤاد الركابي امين السر العام لحزب البعث في العراق من القيادة القومية للحزب ...

(١) فؤاد الركابي يفضح قيادة البعث المتمثلة في عفلق ، جريدة صوت العروبة البيروتية، ٢٥ حزيران ١٩٦١.

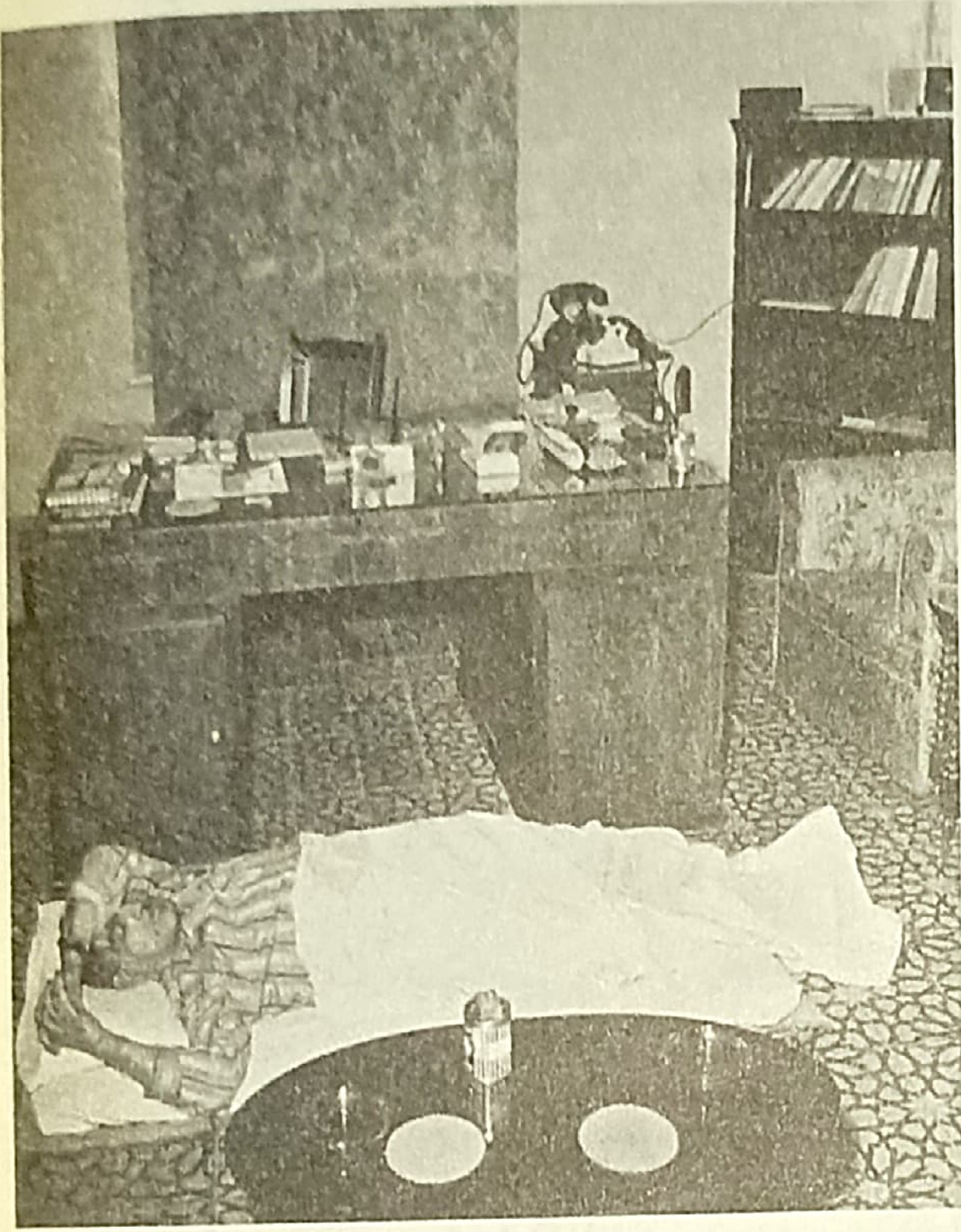
وثائق اثبات ملكية

وثيقة رسمية (اثبات ملكية) صادرة من مديرية التركات والمواريث للعراقي عبدالكريم قاسم بعد استشهاده . في عهد قتلته . وتبين فيه مجموع ما تركه الزعيم لورثته وهو مبلغ ١٦ دينار واربعمائة فلسا فقط لا غيرها

(٢) وثيقتان توضح الأولى مديونية الزعيم لمديرية التلفونات المركزية البالغة (١٣ دينار و٦٣٩ فلس) فقط، والثانية توضح مبلغ ما تركه الزعيم لورثته البالغ (١٦ دينار و ٤٠٠ فلس) فقط ، نقلاً عن مجلة ١٤ تموز ،العدد الأول ،تموز ٢٠١١، ص٤٢.



الزعيم يضع حجر أساس جامعة بغداد



قيلولة الزعيم في مكتب وزارة الدفاع



من تراجيديا انقلاب ٨ شباط



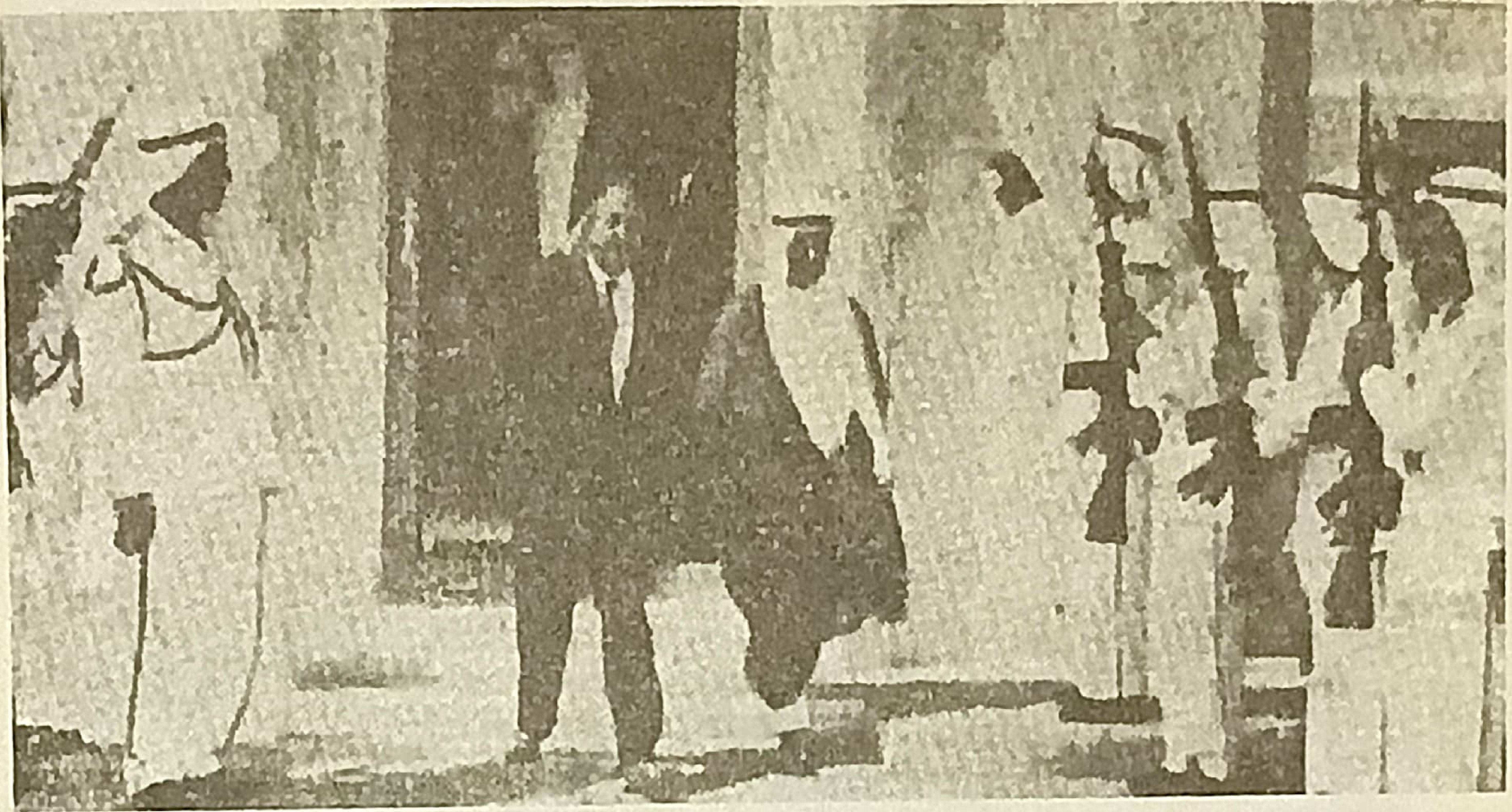
حتى جثة الزعيم لم تسلم من حقدهم



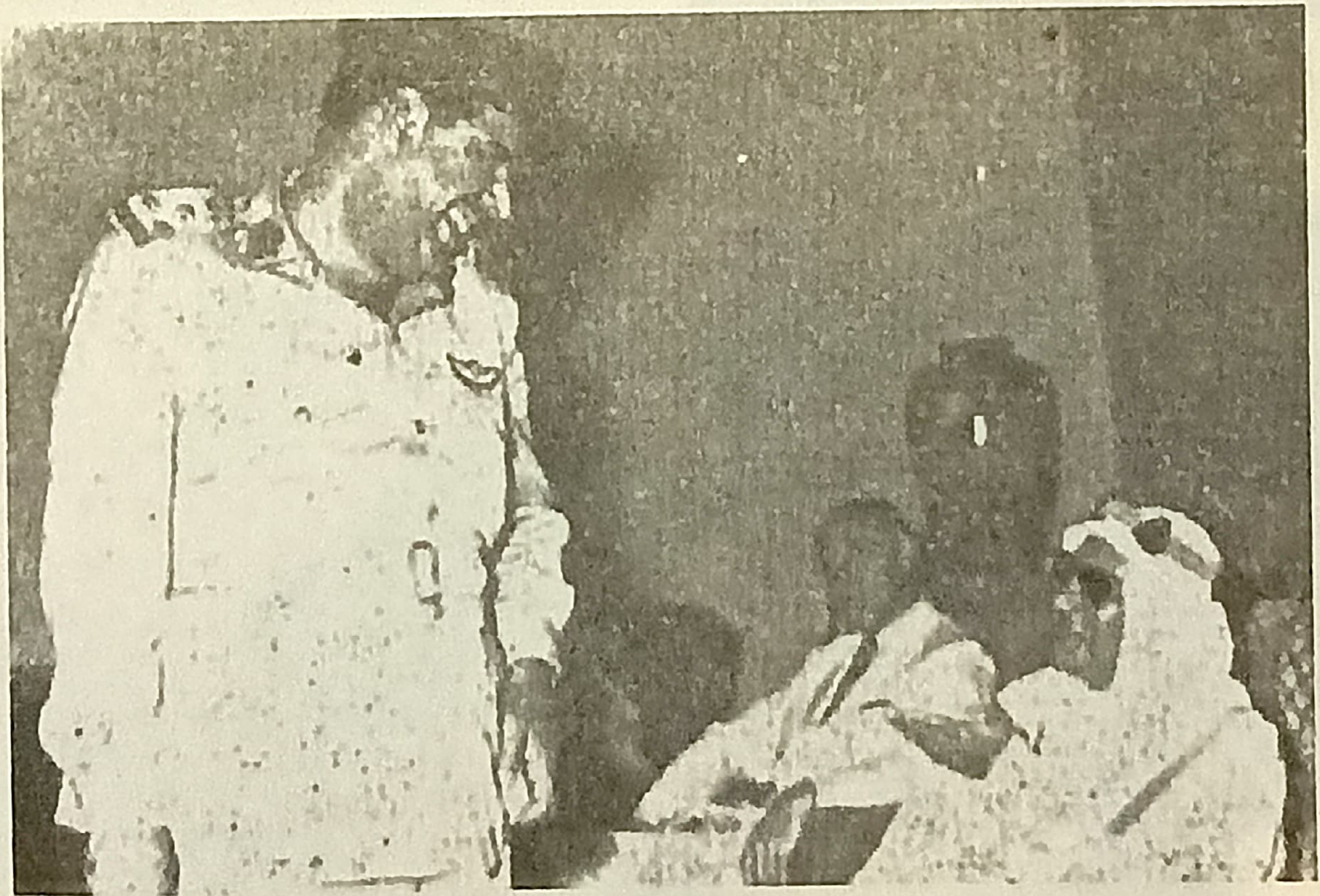
أقطاب الانقلاب (من اليسار الى اليمين) :عارف، البكر،حازم جواد



قادة حزب أم زعماء عصابة؟!.



من لقاءات ما بعد الصفقة الكويتيه



ابتسامات مدفوعة الثمن (حردان التكريتي وأحد أمراء الكويت)

المحتويات

هذا الكتاب

يأتي هذا الجهد المتواضع ضمن موضوع نبتهل إلى العلي القدير أن يمكننا من انجاز ما أطلقنا عليه "ترميم الذاكرة العراقية" تمهيداً لإعادة بنائها بمضامين الإيمان والوطنية، وإشاعة السلام والعدل والسعادة في ربوع الرافدين التي غادرتها بفعل السياسات الحمقاء، وأيضاً بفعل مَنْ سكت عن هذه السياسات، و من يمارس "فضيحة" هذا السكوت حتى الآن.

من حق أجيالنا الجديدة وأبنائنا وأحفادنا الذين لم يعوا أسباب المأساة أن يكونوا في الصورة، كما تفعل دول اكتوت بنيران الفاشية والنازية، إذا كان ذلك من حقهم فإنه يمثل واجباً لنا نحن الذين عشنا تفاصيل المأساة وشهدنا وقائع الخراب.





مركز النهوض للبحث والتوثيق